

## سبل استنهاض العمل القومي العربي

عقدت هذه الحلقة النقاشية في مقر مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، بتاريخ ٢٩/٦/٢٠١٢. وقد شارك فيها الإخوة التالية أسماؤهم (حسب الحروف الأبجدية):

- |                     |  |
|---------------------|--|
| د. أنطوان سيف       | أستاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية.  |
| أ. بشار القوتلي     | باحث وناشط سياسي سوري مقيم في لبنان.   |
| د. بيان نويهض الحوت | باحثة فلسطينية وأستاذة جامعية مقيمة في لبنان.  |
| أ. جهاد كرم         | سفير سابق - لبنان.   |
| د. حسين أبو النمل   | باحث في التنمية الاقتصادية - فلسطين.   |
| أ. حسين غباش        | باحث وكاتب من الإمارات العربية المتحدة.  |
| د. خير الدين حسيب   | رئيس اللجنة التنفيذية، ورئيس مجلس أمناء مركز دراسات الوحدة العربية.  |
| أ. رحاب مكحل        | مديرة عام المركز العربي الدولي للتواصل والتضامن، وعضو لجنة المتابعة للمؤتمر القومي - الإسلامي.                           |
| د. رغيد الصلح       | كاتب وباحث في العلاقات الدولية والإقليمية - لبنان.   |
| أ. زاهر الخطيب      | نائب سابق، ورئيس «رابطة الشغيلة» - لبنان.  |
| د. زياد حافظ        | أستاذ جامعي، وخبير اقتصادي - لبنان.  |
| د. ساسين عساف       | أستاذ جامعي، نائب رئيس المنتدى القومي العربي في لبنان.   |
| أ. سايد فرنجية      | نائب سابق، والمنسق العام لـ «الحركة الوطنية» - لبنان.  |
| أ. سمير شرکس        | رئيس التنظيم القومي الناصري - لبنان.   |
| د. سمير صباغ        | رئيس رابطة «العروبة والتقدم» - لبنان.  |
| أ. عبد الرحيم مراد  | رئيس الجامعة اللبنانية الدولية، ونائب وزير سابق - لبنان.   |
| د. عصام نعمان       | محام وكاتب، نائب وزير سابق - لبنان.  |
| أ. عمر الزين        | الأمين العام لاتحاد المحامين العرب.  |
| أ. فارس أبي صعب     | باحث أقدم في مركز دراسات الوحدة العربية.   |
| أ. معن بشور         | رئيس المركز العربي الدولي للتواصل والتضامن، والأمين العام السابق للمؤتمر القومي العربي.                                  |
| أ. منير الصياد      | رئيس الاتحاد الاشتراكي العربي - التنظيم الناصري، لبنان.  |
| د. موريس أبو ناضر   | أستاذ جامعي، ومدير التحرير في المنظمة العربية للترجمة.   |
| د. نيفين مسعد       | أستاذة في جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.   |
| د. يوسف الصواني     | المدير العام بالوكالة، ومدير قسم الدراسات في مركز دراسات الوحدة العربية، وأستاذ العلوم السياسية في جامعة طرابلس - ليبيا. |

قدّم الحلقة وأدار الحوار: د. يوسف الصواني.

## افتتاح الحلقة النقاشية

### يوسف الصواني

المدير العام بالوكالة، ومدير قسم الدراسات في مركز دراسات الوحدة العربية،  
وأستاذ العلوم السياسية في جامعة طرابلس - ليبيا.

باسم مركز دراسات الوحدة العربية، ونياًبةً عن رئيس لجنته التنفيذية د. خير الدين حسيب، وباسمي شخصياً، يسرّني أن أرحب بكم سيداتي وسادتي في هذه الأمسية الطيبة، التي يخصصها المركز لمناقشة واحدة من أهم القضايا التي تطرح تحديات على أكثر من مستوى، لا أمام التيار القومي فقط وإنما أيضاً أمام الأمة العربية بجميع تياراتها السياسية والفكرية.

هذه التحديات تدعو ليس إلى مجرد استنهاض الجهود والتفكير في المبادرات، وإنما تدعو قبل ذلك إلى التدبّر بجدية وحكمة، وبقدر متناه من الاهتمام، في جملة التحولات والتطورات التي جرت وتجري على المستوى الإقليمي، مع ما لها من ارتباطات بالتحولات الجارية على المستوى الكوني. إن القيام بهذا يتصل مباشرة بكون المنطقة قد احتلت دائماً، على امتداد قرنين على الأقل من تاريخها الحديث والمعاصر، موقعاً أساسياً ضمن السياسات الكونية أو العالمية للقوى الكبرى. من هنا، لا تبدو التحولات أو التطورات التي تجري في منطقتنا، ومن بينها ما اصطُلح على تسميته الربيع العربي، معزولة عما يجري على المستوى الكوني، بل تدعونا بشكل أكبر إلى التدبّر مجدداً في الأسئلة ذاتها التي كان قد طرحها رواد التفكير في مستقبل هذه الأمة، من حَمَلَة مشاعل التفكير النهضوي والتفكير التحديثي، وتدبّر فيها كل من شغله همُّ هذه الأمة وحاضرها ومستقبل أجيالها، سواء كان ذلك على مستوى الحركات السياسية أو على مستوى الإنتاج الفكري وإلاشكالات التي طرحت نفسها على أكثر من صعيد.

لا شك في أن أي استشراف لمستقبل العرب والعروبة، ناهيك عن استنهاض التيار المعبر عن طموحاتها القومية، لا بد أن ينطلق من أن المعرفة المجردة وحدها لا تكفي أرضية لتحقيق التحول أو لاستيعابه وإدراك أبعاده. إن لذلك صلة بكون العروبة المعاصرة لم تُعد مجرد القومية بالمعنى الكلاسيكي، بل إن الفكر القومي المتجدد، وما يمكن وصفه بنسقه المعاصر (Paradigm)، تخطياً فكرة التلازم الحتمي بين الشكل الاجتماعي والشكل السياسي ليطرحا ويفتحا آفاقاً واسعة لأنماط ومستويات متعددة من التعاون والاندماج العربيين.

إن هذا التحول الفكري بدأ انطلاقته المعرفية والمنهجية منذ أن أعاد النظر في مقارباته لنظام الدولة العربية المعاصر **(الدولة القطرية)**، مروراً بالاتحادات أو التجمعات الإقليمية العربية، وكل ما يتصل بنظام جامعة الدول العربية والمؤسسات العربية المشتركة، إلى إعادة التفكير في كامل مكونات السياق العربي المحدد لمستقبل وآفاق أي تعاون أو اندماج، بما لذلك من صلة بموضوعة الفكر العربي في السياقات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية العربية والإقليمية والكونية.

إن أهم ملامح التحول هي تلك التي تُعير اهتماماً خاصاً للإشكالات الراهنة وارتباطها بالتحديات التي ساهمت في أسباب الانحسار، كما يعالجها معن بشور في الورقة التي بين أيدينا اليوم. هنا تبرز أهمية الانشغالات التي يُعنى بها بشور والتي تدعونا بكل قوة إلى الانغمار في المراجعة والدعوة إليها، ليس لأن الفكر القومي لم ينجز المراجعة، فهذا أمر يتضح من خلال سيل الكتب والدراسات التي أصدرها مركز دراسات الوحدة العربية بشكل خاص، فضلاً عن الندوات التي نظمها، متناولاً تقريباً كل ما له صلة بإعادة الصياغة وبناء النسق الفكري الجديد، بل لأن المراجعة تكتسي في الظروف الراهنة وبفعل الآثار الجذرية للتحولات الجارية، ولاسيما منذ انبلاج فجر الربيع الديمقراطي العربي عام ٢٠١١، أهمية خاصة من شأنها تمتين ما تحقق من إنجازات، وترسيخ ما تم من مراجعات فكرية، ومضاعفة آثارها الإيجابية. من شأن ذلك أيضاً، وفي الوقت ذاته، الانطلاق نحو بلورة برنامجها الحركي الذي ينبغي أن يتحدد وفقاً للمتغير الأبرز في الربيع العربي، والمتمثل في إعادة الاعتبار إلى الفرد والجموع في آن واحد.

لقد عاد الاعتبار إلى الفرد العربي على قاعدة المواطنة، وعاد الاعتبار إلى الجماهير التي تمكّنت، لأول مرة في تاريخنا المعاصر، من إطاحة الطغاة في عمل شعبي واسع النطاق. إن لهذا أثراً ينبغي أن تنعكس على مستوى الفكر والحركة، ليتحرر الفكر والتيار القومي والعروبي من أية نخبوية كي ينتج شعبية جديدة من شأنها توليد الحراك العربي على مستويات مختلفة، وبما يلتقي مع ما تحقق من تطوير للفكر القومي على مر العقود الماضية.

إن التحدي اليوم ليس مجرد ما ينبثق من المصادر التقليدية، كالاستعمار والصهيونية والدكتاتورية، لكن ما ينبثق أيضاً من ديناميات الصراع والتحول، ومن مقتضيات إدراك معادلات السياقات الداخلية **(القطرية)** والعربية في مجالات اجتماعية واقتصادية في المقام الأول. إن هذا ليس مجرد ترف فكري، بل هو دعوة حقيقية إلى المراجعة، لا استجابة لحاجات حركة سياسية أو تيار سياسي يجد نفسه في مأرق الاختيار بين الإخلاص للقيم والمبادئ التي اختارها والحصول على الشعبية أو مواجهة رياح التحولات العاتية والعاصفة وما ارتبط بها من صراع وتنافس لم تغب عنه القوى الأجنبية. إنه أمر تقتضيه كل شروط نجاح الانتقال من الأيديولوجيا إلى المشروع، الذي يستكمل مكوناته الفكرية على المستويات كافة من خلال عناصر المشروع النهضوي العربي الستة: الوحدة، الاستقلال الوطني والقومي، الديمقراطية وحقوق الإنسان، التنمية المستقلة، العدالة الاجتماعية، التجدد الحضاري.

في هذه الأمسية، نستضيف أ. معن بشّور، وهو معروف لديكم، ولا أعتقد أنه يحتاج إلى كثير تقديم يُشيد بمساهماته أو بدوره، أو بما قام به خلال عقود كثيرة من الزمن، مارس فيها العمل السياسي والعمل القومي منذ شبابه، وتحمل مسؤوليات، وتصدى لمهام مثل المساهمة في تأسيس المؤتمر القومي العربي، وتولّى شرف أمانته العامة، بالإضافة إلى عدد غير محدود من المساهمات والأدوار التأسيسية ذات الصلة بالحركة القومية العربية. وهو أيضاً رئيس المركز العربي والدولي للتواصل والتضامن.

سيقدم أ. معن رؤية بشأن سبل استنهاض العمل القومي العربي. ومثلما أبانت لكم الورقة، التي سبق أن وزعت عليكم، فإن هذه الرؤية هي مساهمته التي قدّمها في المؤتمر القومي العربي الذي عُقد مؤخراً في تونس. واليوم يسرنا في مركز دراسات الوحدة العربية، وتنفيذاً لبرنامجنا العلمي الذي يستهدف بالدرجة الأولى تعزيز المسائل المرتبطة بالأهداف الستة للمشروع النهضوي العربي، أن نستضيف حضراتكم الكرام لمناقشة أ. معن في حوار نأمل أن يحقق قدراً من أهداف مركزنا التي نرى أنها تساهم في تعبيد الطريق أمام أهداف المشرع النهضوي العربي بشكل عام.

قواعد المناقشة هي: يخصّص للباحث نصف ساعة كي يعرض ورقته، حيث إنه سيتحدث، كما أعتقد، عن القضايا الواردة في الورقة وليس قراءة الورقة، ويتلوها بإضافات. وسيُفتح باب المناقشة، على ألا تتجاوز مدة كل مداخلة من المداخلات الخمس دقائق.

أدعو أ. معن إلى تقديم ورقته ضمن الوقت المحدد.

## ورقة العمل

### أفكار حول سبل استنهاض التيار القومي العربي<sup>(\*)</sup>

#### معن بشور

رئيس المركز العربي الدولي للتواصل والتضامن،  
والأمين العام السابق للمؤتمر القومي العربي.

قبل الشروع في بحث سبل استنهاض التيار القومي العربي، لا بدّ من إجابات سريعة عن  
أسئلة ثلاثة تتصل بهذا التيار:

– ما هو تعريفنا للتيار القومي العربي؟

– هل بالأمّة حاجة موضوعية إلى مثل هذا التيار لكي يشكل استنهاضه نهوضاً  
بواقع الأمّة كلها؟

– ما هي أسباب انحسار هذا التيار؛ هل هي موضوعية أم ذاتية؟ هل هي فكرية أم  
تنظيمية؟ هل لها صلة بالأهداف أم أنها في معظمها متصلة بالوسائل والأكليات؟

#### أولاً: في التعريف

لقد أجاب مؤتمرنا القومي العربي منذ تأسيسه عن هذا السؤال، وخصوصاً في  
استراتيجية عمله التي أقرّها المؤتمر الرابع في بيروت عام ١٩٩٤، وأعدّها أول أمين عام  
للمؤتمر وأحد أبرز مؤسسيه، د. خير الدين حسيب، حيث قالت الاستراتيجية: «إن مفهوم  
التنوع والتكامل، المشار إليه في المادة الثانية من النظام الأساسي، يعني أن يضمّ  
المؤتمر أشخاصاً من جميع التيارات والقوى السياسية والاجتماعية الموجودة على  
الساحة العربية، والملتزمة بالمشروع الحضاري القومي العربي وعناصره الستة، وأن

(\*) أُعدّت هذه الورقة بعد أن تجاوب عدد من أعضاء المؤتمر مع رغبة الكاتب في تقديم مساهماتهم  
وأفكارهم. وقد تجاوب مشكوراً، بالإضافة إلى د. خير الدين حسيب أمين عام المؤتمر القومي العربي سابقاً،  
وعضو الأمانة العامة د. زياد حافظ، كلّ من الأخوات والإخوة: د. داود خير الله؛ أ. سامي قنديل؛ أ. صباح  
المختار؛ أ. عبد الواحد هواش؛ أ. عصام عائد؛ أ. علاء الدين الأعرجي؛ أ. ناديا بوركبة.

قُدّمت هذه الورقة في الدورة ٢٣ للمؤتمر القومي العربي التي انعقدت في تونس في ٤ - ٦ حزيران/يونيو

تعبير «القومي العربي» في تسمية المؤتمر لا يُقصد به أن تقتصر عضويته على التيار القومي بالمعنى التقليدي فقط، بل يعني أن تتفتح وتتسع عضويته للتيارات الوطنية الأخرى، اليسارية والإسلامية والليبرالية وغيرها التي تؤمن بأهدافه، وأن تعبیر القومي هنا يشمل الأمة العربية، وليس تياراً واحداً فيها».

في ضوء هذا التعريف، ضم المؤتمر في هيئته العامة، كما في أمانته العامة، شخصيات متحدرة من خلفيات أيديولوجية متعددة، لكنها ملتزمة بالمشروع النهضوي العربي الذي شارك في صياغته أيضاً مفكرون من جميع هذه التيارات.

ولقد كشفت تجربة الحياة السياسية العربية، كما تجربة المؤتمر ذاته، أن التباينات في المواقف السياسية من هذه القضية أو تلك لم تقم على أساس التباين الأيديولوجي والفكري، بل على أساس التباين في الرؤى السياسية. وقد كنا نرى شخصيات وقوى تنتمي إلى مشارب فكرية متعددة تأخذ الموقف ذاته، فيما تأخذ شخصيات وقوى أخرى موقفاً مغايراً، بغض النظر عن خلفياتها الأيديولوجية والفكرية، والأمثلة على ذلك كثيرة وحاضرة في الساحات كلها. وحيثما كان يجري العمل بهذا التعريف الواسع للتيار القومي العربي والقائم على أساس المشروع لا الشعار، والبرنامج لا الأيديولوجيات، كنا نحقق نجاحات باهرة، ونحاصر كل نزعات التناحر والانقسام. وفيما كنا نلتزم المفهوم الحصري، أو حتى السلالي، كان التناحر والانقسام والفشل يلاحقنا.

إن هذا التعريف لا يلغي بالتأكيد إمكانية وجود مدارس متعددة في إطار التيار القومي العربي، تحاول كل منها أن تبلور فهمها الخاص لسياسات أو رؤى أو آليات، ولكن تحت سقف المشروع الواحد والموحد لجميع الملتزمين به.

## ثانياً: الحاجة الموضوعية إلى التيار القومي العربي

لا بد من الإشارة هنا إلى أن التردّي المؤلم الذي يعيشه الوطن العربي، من تجزئة وانقسام، من احتلال وتدخلات خارجية، من فتن وحروب طائفية ومذهبية وعرقية، من قهر واستبداد، من تخلف وتعثر اقتصادي واجتماعي، من ظلم وفساد، من افتعال لتناقضات بين العروبة والإسلام، بين الأصالة والمعاصرة، لا يمكن مجابهته إلا من خلال عناصر المشروع النهضوي العربي الستة: الوحدة العربية، الاستقلال الوطني والقومي، الديمقراطية وحقوق الإنسان، التنمية المستقلة، العدالة الاجتماعية، التجدد الحضاري، التي تشكل بمجموعها الإطار الفكري والسياسي للتيار القومي العربي، كما تمثل امتداداً لأفكار ورؤى حملتها، بدرجة وأخرى، تيارات الأمة الرئيسية على امتداد عقود، وشكلت، على ما فيها من تفاوت، ركائز الفكر النهضوي العربي منذ القرن التاسع عشر.

وإذا توقفنا أمام ما تواجهه الأمة من مخططات ومشاريع استعمارية صهيونية، وفي مقدمتها مشروع الشرق الأوسط الكبير ذو المنشأ الصهيوني - الاستعماري، لاكتشفنا أن الهدف الرئيسي لهذا المشروع هو الحيلولة دون تحقق وحدة الأمة، بل السعي إلى تفتيت

كياناتها الوطنية، وتدمير هويتنا الحضارية وتشويه تراثنا الروحي، وإثارة جميع أشكال الحروب والصراعات القائمة على عصبية عرقية أو دينية أو مذهبية أو جهوية، وكلها أمور لا تتحقق إلا بضرب المشروع الذي يحمل الهوية العربية والإسلامية، وهي الهوية الجامعة التي تحترم خصوصيات المكونات المختلفة القائمة، وتحقق التكامل بينها، وتصور التنوع في وطن موحد مستقل يرتكز على الحرية والعدالة والكفاية، وما هذا المشروع سوى المشروع القومي العربي الذي تكاد تتلخص كل الحروب المتواصلة على الأمة بالحرب عليه، وعلى كل من حمله سابقاً أو يحمله حالياً في المنطقة.

ولعلّ من المفارقات التاريخية الأبرز أن ما من أمة أو منطقة أو قارة تجتمع لها كل عناصر التكامل والوحدة كما هو حال أمتنا العربية، ولكن ما من أمة أو منطقة أو قارة واجهت موانع وحواجز وحروباً تحول دون وحدتها كما هو حال أمتنا أيضاً.

وإذا كانت لغة العصر في أرجاء المعمورة هي لغة التكامل والاندماج الإقليمي والمنظومات المشتركة، وصولاً إلى الاتحادات القارية، فإن أمتنا العربية ما زالت ممنوعة من الولوج إلى قانون العصر، وهو قانون الوحدة والتكامل.

ومع متابعتنا للتطورات الدولية والإقليمية وما تشهده من إعادة صياغة موازين القوى الدولية لصالح نظام دولي تعددي وأكثر توازناً، وهي تطورات شبيهة بما شهدناه في أواسط الخمسينيات من القرن الماضي مع سقوط الإمبراطوريتين الاستعماريتين القديمتين بريطانيا وفرنسا، وبروز نظام الثنائية القطبية، فإن من حقنا أن نتفاءل بإمكانية انطلاق التيار القومي العربي من جديد على غرار ما رأيناه في مرحلة ما بعد العدوان الثلاثي على مصر.

وإذا أضفنا إلى هذه العوامل كلها ما تشهده التيارات الإقليمية والقطرية والطائفية والمذهبية من مأزق يتجلى في عجزها عن الاستجابة للحاجات الحقيقية لمجتمعاتها، بدءاً من المخاطر المهددة للوحدة الوطنية، ومروراً بالعجز عن تحقيق تنمية مستقلة متكاملة مع عدالة اجتماعية، كما بالعجز عن مواجهة المشكلات المتصلة بالهوية الثقافية والحضارية للأمة، ووصولاً إلى المخاطر المحيقة بالأمن القومي لكثير من أقطار الأمة، نكتشف حاجة الأمة إلى تيار قومي عربي جامع لا تقتصر عضويته على التيار القومي بالمعنى التقليدي، بل تتفتح أيضاً وتتسع للتيارات الوطنية الأخرى، اليسارية منها والإسلامية والليبرالية وغيرها من التيارات التي تؤمن بأهداف مشروعنا النهضوي. وإن تعبير القومي هنا يشمل الأمة العربية وليس تياراً واحداً فيها، يشملها بكل مكوناتها ولا يحصر نفسه في مكون واحد.

لقد بات الخطاب القومي العربي، باعتباره خطاباً جامعاً، هو الحاجة - الإطار الذي تستطيع من خلاله مجتمعاتنا أن تتجاوز خطباً تركز على الهويات الفرعية أو النزعات التقسيمية، وهو أمر بات يشكل خطراً على وحدة الكيانات الوطنية ذاتها، ناهيك عن وحدة الأمة كلها.

والخطاب القومي العربي، بتركيزه على تكامل العروبة والإسلام وعلى أهمية التجدد الحضاري في الأمة، يشكل تعبيراً راهناً عن الحضارة العربية الإسلامية الجامعة للعرب المسلمين وغير المسلمين، وللمسلمين العرب وغير العرب من المقيمين في بلادنا العربية.

وبإبرازه الديمقراطية كهدف رئيسي من أهداف الأمة إنما يقدّم حلاً لمشكلة المواطنة وحقوق الإنسان، حيث لا تمييز أو امتياز بين المواطنين على أساس الدين أو العرق أو اللون أو الجنس. كما أنه بإيلائه القضية الاقتصادية الاجتماعية اهتماماً خاصاً عبر بناء مجتمع الكفاية والعدل، إنما يواجه بصمت مفروض على شرائح ضخمة من شرائح المجتمع التي تم تهميشها.

والأمر ذاته يرتبط بمكانة الاستقلال الوطني والقومي في هذا الخطاب، فهو الأقدر على صون سيادة الأمة من دون مساومات وصون استقلالها من دون شروط، وعلى احتضان المقاومة كطريق لمواجهة الاحتلال كما لتوحيد الشعب في هذه المواجهة.

### ثالثاً: أسباب انحسار التيار القومي العربي

لا شك أن الوقوف على أسباب انحسار التيار القومي العربي، خطاباً ومفردات وقوى وآليات، بعد أن بدا لفترة من الزمن أنه التيار الأقوى والأبرز والأكثر تأثيراً وتألقاً، يتطلب، بدايةً، حلقاً نقاش متعددة الموضوعات، لتدرس مختلف جوانب أزمة هذا التيار بكل شفافية وجراحة وروح نقدية، سواء على مستوى الخطاب القومي العربي نفسه، أو على مستوى القوى المعبرة عنه، كما في آليات التعبير عنه، مع التوقف دائماً أمام ثلاث ملاحظات:

١ - إن مراجعة التجارب لا تعني أبداً نكء الجراح، وتصفية حسابات شخصية أو حزبية أو فئوية، بل هي تتطلب قدرة على القراءة الموضوعية لهذه التجارب عبر نقد بلا تجريح، وتحديد مكامن الخلل من دون تشهير، كما تتطلب أن ينطلق كل منا من مراجعة ذاته قبل أن يتجه إلى نقد الآخرين.

٢ - إن تراجع أي تيار في فترة معينة لا يعني انكفائه إلى الأبد، وهو أمر لا تصعب ملاحظته حين نقارب واقع تيارات عدة في منطقتنا والعالم، عاشت دورات صعود وجمود وهبوط ثم استنهاض مرة أخرى.

٣ - إن الحديث عن انحسار في التيار القومي العربي لا يجوز أبداً أن يصرف الأنظار عن جملة نقاط مضيئة في مسيرة هذا التيار في العقود الأخيرة، أبرزها نجاحه في بناء الصروح الفكرية والبحثية العربية المعاصرة (مثل مركز دراسات الوحدة العربية)، كما في إطلاق جملة مبادرات للتعاون والتشاور بين أبرز تيارات الأمة ومنابتها الفكرية الملتزمة بالمشروع النهضوي العربي، مسقطاً بذلك سنوات من التناحر والجفاء بينها. وما تجربة المؤتمرات الثلاثة وصمودها، رغم كل ما أحاط ويحيط بها من أعاصير وزلازل، إلا مظهر من مظاهر نجاح مبادرات انطلقت من رحم التيار القومي العربي.

من النقاط المضيئة في هذه التجربة إطلاق هذا التيار تجربة مخيمات الشباب القومي العربي، التي خرج منها آلاف الشباب من مختلف أقطار الأمة، وهي تجربة كشفت أسبقية اهتمام التيار القومي بالشباب من منابت فكرية وعقائدية متعددة، كما وفرت للميادين والساحات الثورية العربية قيادات شابة نجحت في إطلاق تحولات أدت وتؤدي نحو استعادة جماهير الأمة زمام أمرها في العديد من أقطار الأمة، رغم كل محاولات القوى



المضادة للثورة والأمة للالتفاف على هذه الميادين والساحات والتحولت الثورية.

من النقاط المضيئة أيضاً دور التيار القومي المستقل في احتضان المقاومة العربية في مواجهة جميع الحملات التي حاولت محاصرتها وإسقاطها، رافضاً إصاق تُهم طائفية أو مذهبية بهذه المقاومة أو تلك، ورافضاً ازدواجية المعايير في التعامل مع هذه المقاومة. ولعل دفاع هذا التيار عن المقاومة في العراق، بعد أن لعبت قواه ورموزه دوراً قيادياً في حركة كسر الحصار على العراق، ثم في الدفاع عن مقاومة شعبه بعد الاحتلال، هو الذي دفع المحتلين وعملاءهم إلى شن أوسع حملات التشهير والتشويه بحق هذا التيار ورموزه، وصولاً إلى وضع بعضهم في لوائح المطلوبين من الاحتلال الأمريكي.

ولم يكن الأمر مختلفاً مع المقاومة اللبنانية، التي رفض التيار القومي العربي وشرفاء الأمة وأحرار العالم جميع المحاولات للانتقاص من دورها، وتجريدها من سلاحها، وتشويه صورتها، وهو أمر توجّهت دعوة أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله جماهير الأمة إلى التجاوب مع نداء المؤتمرات الثلاثة خلال العدوان على غزة في مطلع عام ٢٠٠٩.

أما المقاومة الفلسطينية وقضيتها المركزية، فكانتا في حضور بارز ومتقدّم في جميع أدبيّات هذا التيار القومي أو في ندواته ومنتدياته ومبادراته، أو عبر مواقفه الرافضة لأيّ تفريط في ثوابت القضية الفلسطينية، ولأيّ اتفاقية تنطوي على تنازلات تمس الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني.

وفي هذا الإطار، لا يستطيع أيّ تقييم موضوعي أن ينكر دوراً ريادياً لهذا التيار القومي العربي في إطلاق مبادرات تؤكّد عالمية القضية الفلسطينية، وتحشد الآلاف من أحرار العالم في مندييات التضامن مع عناوين هذه القضية، كالقدس، وحق العودة، والجولان، ودعم المقاومة، ونصرة الأسرى، ومقاومة التطبيع، ومناهضة التمييز العنصري، الأمر الذي جعل العدو الصهيوني يحذّر من مخاطر تجريد هذه الحركة العالمية الكيان الصهيوني من الشرعية الدولية، ويخطط عبر مراكز أبحاثه وأجهزة استخباراته لسبل مواجهة هذه المخاطر.

وهنا لا يمكن أن نغفل دور رموز في هذا التيار في إطلاق مبادرات عملية، برية وبحرية وجوية، لكسر الحصار على قطاع غزة، حيث تصدى أعضاء في مؤتمرنا القومي، بل وفي أمانته العامة، بكل بسالة للعدوان الصهيوني، كما حصل في أسطول الحرية، وبالتحديد في السفينة مرمرة، في مثل هذه الأيام قبل عامين، وقبل ذلك في السفينة المدعوة الأخوة اللبنانية.

ومن الموضوعية والإنصاف أن نتذكّر دور التيار القومي في إطلاق العديد من الجمعيات والمنظمات القومية المتخصصة، وفي الطليعة منها المنظمة العربية لحقوق الإنسان التي أسست في أواسط الثمانينيات من القرن الماضي، والمنظمة العربية لمكافحة الفساد التي أسست في مطلع القرن الحادي والعشرين، وهما منظمتان تؤكدان ارتباط التيار القومي بهذين الهدفين الرئيسيين (حقوق الإنسان ومكافحة الفساد) اللذين كانا من أهم عناوين الحراك الشعبي الثوري العربي.

وآخر النقاط المضيئة بلا شك هي نتائج الانتخابات النيابية ثم الرئاسية المصرية، التي

أبرزت مكانة مميّزة لهذا التيار ورموزه في مصر (ومنهم أعضاء بارزون في هذا المؤتمر بالذات، كما في مؤتمرات شقيقة)؛ فقد نجح هؤلاء في أن يجسّدوا بسلوكهم وبرامجهم روح الثورة وتلازم أهداف النهضة، من دون التفريط في أحدها لصالح الآخر.

## رابعاً: عوامل انحسار التيار القومي العربي

إن هذه الملاحظات لا تنفي بالتأكيد وجود عوامل انحسار للتيار القومي ينبغي تحديدها بجرأة كاملة من دون إحباط، وبشفافية تامة من دون يأس.

**أول هذه العوامل** هو تعرّض معظم الأنظمة والتنظيمات المنتسبة إلى التيار القومي العربي، وإخفاقها عبر تجربتها العملية في نقل الصورة الحقيقية والمشرفة لأفكار هذا التيار ومبادئه وأهدافه. لكن الإقرار بهذا التعرّض والإخفاق لا يعني أبداً عدم وجود جوانب إيجابية، غير أن المشكلة هي أن تقدّم التجربة نحو هدف من أهداف مشروعنا القومي كان يتمّ على حساب أهداف أخرى لا تقل أهمية، وهو ما نبّه إليه المشروع النهضوي العربي حين رفض بشدة فكرة المقايضة بين أهدافه، والتنازل عن هدف لصالح هدف آخر.

والخطأ الأكبر الذي وقعنا فيه كتنظيمات وأنظمة، وحتى كشخصيات ورموز، هو أننا لم نحقق النظرة المتوازنة في مواجهة الخارجي من الأخطار والمخططات مع معالجة الداخلي من الأزمات والمشكلات؛ فبجّة مقاومة الأجندات الاستعمارية، وقع بعضنا في ممارسات استبدادية، وبجّة مقاومة الاستبداد، وقع بعضنا الآخر في خطيئة استدعاء الأجنبي، جيوشاً أو تدخلات متعدّدة الأشكال والوسائل.

إن استعادة التيار القومي العربي بكل قواه ورموزه لأولوية التصدي لثلاثية الفساد والاستبداد والتبعية، وإدراكه العميق للترابط بين أطراف هذا المثلث، هما خطوة هامة على طريقة ملاقة جماهير أمتنا التي خرجت من قمقم يصعب أن تعود إليه.

**ثاني هذه العوامل** هو ظاهرة التناحر والتشرذم، والذاتيات المتضخمة، والعصبية المتنافرة التي سادت العلاقة بين قوى هذا التيار وأحزابه ورموزه، وحتى شخصياته إلى حدّ كبير.. وهي ظاهرة لم تُضعف قدرة هذه القوى على تحقيق أهدافها فحسب، بل جعلتها أيضاً تفقد الحد الأدنى من مصداقيتها أمام جماهيرها التي تسألها، وهي تراها في غمرة الشقاق والشجار والالتهامات المتبادلة: إذا كنت عاجزة عن توحيد بعضك البعض، فكيف ستنجح في توحيد أمتك؟

إن الأمثلة على هذه الظاهرة ماثلة للعيان أمامكم جميعاً في أقطارك، وأحزابكم، ومنظماتكم، وحتى في علاقاتكم الشخصية. والأضرار التي دفعتها الأمة ثمناً لهذا الشقاق جسيمة للغاية، وهي تفسر إلى حد كبير حال الهوان والضعف الذي تعيشه الأمة.

**ثالث هذه العوامل** هو تعرّض التيار القومي العربي حتى الآن في أن يقيم معادلة التكامل بين الرؤية والقدرة؛ فحيث الرؤية متوافرة بنسبة عالية، نجدها مجردة من القدرة على ترجمة مبادراتها، وحيث القدرة متوافرة إلى حدّ التخمة، نرى الرؤية غائبة والرتابة حاضرة، وحيث

تعيش البيروقراطية المرتبطة بالرتابة، يفتك بواقعنا الشعبي والأهلي إلى حد كبير فساد، جنباً إلى جنب مع الفساد الرسمي المعروف.

إن لهذا العجز عن تحقيق التلازم بين الرؤية والقدرة أسبابه الموضوعية، وهي تتمثل في حرص أصحاب الرؤية من رموز هذا التيار وقواه النوعية على استقلالية قرارهم عن الواقع الرسمي، أو عن مواقع الضخ المالي التي تضعف أمام إغراءاتها رموز وقوى بارزة في تيارنا القومي، فيما نجد أن الإمكانات المتوافرة لهذا الواقع أو لتلك المواقع لا يحرم أصحابها قوى الرؤية فحسب، بل يتم استخدامها أيضاً لمحاصرة القوى المستقلة، والسعي إلى الإطباق على دورها، ومعاقبته على استقلاليتها وعلى رفضها التحوّل إلى أدوات تابعة، حتى ولو كانت هذه القوى متقاربة في بعض أهدافها مع القوى المتمكنة. وفي هذا المجال، هناك الكثير من الشواهد، ولكن هنا المكان الأفضل لمعالجتها.

**رابع هذه العوامل** هو انصراف قوى التيار القومي العربي عن الاهتمام بشرائح واسعة من المجتمع، بدءاً من المرأة التي تشكّل نصف الأمة، وبالتالي عدم الإدراك الفاعل بأن تعطيل طاقات المرأة هو تجزئة لطاقات الأمة لا تقل خطورة عن التجزئة التي أحدثتها اتفاقية سايكس - بيكو نفسها.

وهو أيضاً انصراف العديد من هذه القوى عن المساجد وبيوت العبادة، التي يحتشد فيها معظم أبناء الأمة بوصفها ساحات تفاعل وتلاقح أفكار وتعبئة نضالية، تماماً كما هو موسم الحج الذي يمكن أن يكون مؤتمراً سنوياً يضم ملايين المسلمين من جميع أنحاء العالم، كما لاحظ القائد جمال عبد الناصر قبل ما يقارب الستين عاماً.

في هذا الإطار أيضاً، ينبغي أن نسجّل تقصيراً فادحاً، لاسيّما في السنوات الأخيرة، في اهتمام العديد من القوى القومية العربية بالشرائح الاجتماعية الأكثر فقراً، من فلاحين وعمال وصغار الموظفين والكسبة والحزبيين، والمهمشين اقتصادياً واجتماعياً، بالإضافة إلى الطبقة الوسطى نفسها التي بدأ التغوّل الاحتكاري والرئوي يدفعها إلى مجاورة خط الفقر أيضاً.

اللافت في هذه المستويات الثلاثة أنها جميعاً موضوع اهتمام خاص في أدبيات التيار القومي العربي القديم والمعاصر، ولكن قلّة من قوى هذا التيار سعت إلى ترجمة هذا الأمر بشكل عملي، سواء عبر نضال سياسي وعقائدي ونقابي واجتماعي، أو عبر آليات ومؤسسات تضمن التواصل مع هذه الشرائح والتكافل الاجتماعي والتضامن الإنساني بين الناس، وهو ما أدى إلى وقوع العديد من هذه القوى والشخصيات أسيرة لـ «نخبوية» متعالية عن هموم الناس، هي بلا شك مسألة ضرورية لإطلاق الأفكار والمبادرات، لكنها ليست كافية لترجمة أفكارها ومبادراتها إلى آليات عملية فاعلة في حياة الأمة.

وفي الإطار الاجتماعي، ينبغي أن نسجّل ظاهرة بالغة الخطورة هي عدم الاهتمام بتوفير ضمانات لائقة تؤمّن حياة كريمة لقدامى المناضلين ممّن يداهمهم التقدّم في السن وهم في غمرة العطاء، وإذ بهم يجدون أنفسهم في قلب حالة من الإهمال أو الإنكار لما قدموه ولما يحتاجون إليه.

**خامس هذه العوامل** يكمن في وجود فجوة واسعة بين أطر العمل القومي العربي، على

اختلافها، والشباب، ما عدا حالات نادرة، رغم أن جميع تجارب الأمة في المقاومة، كما في حركات التغيير، تثبت الدور الهام والكبير الذي أداه الشباب ويؤدونه في المراحل المتعددة، كما تثبت قدرتهم على ابتداع الآليات والوسائل التي تمكنهم من القيام بهذا الدور.

وعلى الرغم من أن التيار القومي العربي أدرك منذ عقدين ونيف أهمية الشباب في مشروع النهوض، وأطلق مبادرات وآليات ناجحة في هذا الاتجاه، لاسيما مخيمات الشباب القومي العربي ومثيلاتها، وعلى الرغم من أن معظم الحركات القومية انطلقت من بين الطلاب والشباب، فإن مسافة كبيرة ما زالت قائمة بين الأجيال في هذا التيار؛ مسافة تطيلها نظرة حذرة من الكهول والشيوخ إلى الشباب، ونظرة لا تقل حذراً وإحباطاً يحملها الشباب نحو من سبقهم من الأجيال، وهو ما يتيح لجهات متعددة ذات نوايا ومشاريع مثيرة للريبة التسلل من أجل استغلال حماسة الشباب وحيويتهم ووضعها على سكك أخرى.

هنا، علينا أن نقرّ بأن نظرة من يمكن تسميتهم شيوخاً إلى الشباب تحكمها ثغرتان: **أولاهما** روح عالية من الإيماء والوصاية على حركة الشباب، بدعاوى الحرص والاستفادة من الخبرات، **وثانيتهما** تملق شكلي للشباب من دون التنبه إلى نوعيتهم، ومدى نضجهم والتزامهم، والأخلاقيات التي تحكم أداؤهم؛ فالشباب ليسوا مجرد فئة عمرية فقط، بل هم أيضاً تلك الحيوية المتدفقة، والاستعداد العالي للعطاء والبذل، والانفتاح الحر على كل فكر وتجربة، وهو ما يتطلب مساعدتهم على إيجاد آلياتهم الخاصة بتحركهم، والسبل الخاصة بهم وتراكم خبراتهم وتنقية صفوفهم، وهذا كله ليس متوفراً حتى الآن.

**سادس هذه العوامل** هو انصراف التيار القومي العربي في العقود الأخيرة، وبشكل عام، عن المسألة التربوية، وعدم الاهتمام بالطفولة والفتوة وتوفير المناهج والوسائل الكفيلة بتنمية وعي الأطفال والفنية القومي ومعرفتهم بأحوال وطنهم وأمتهم.

في هذا المجال، يبرز النقص الكبير في آليات العمل للدفاع عن اللغة العربية وتطويرها وتقديمها إلى الأجيال الجديدة بشكل جذاب، رغم أن الإنصاف يقضي بالإقرار بوجود أكثر من مبادرة في أكثر من قطر، لكنها ما زالت محاصرة وضعيفة الأثر.

وفي هذا المجال أيضاً، لا بد من الإشارة إلى نقص كبير في تنمية قيم تنموية ونهضوية في مجتمعاتنا، كإبراز قيم الإنتاج على حساب الريع، والجهد على حساب الإفراط في الاستهلاك، والتكامل في مواجهة الإقصاء، والتواصل في مواجهة القطيعة، والتراكم في مواجهة التنكر لجهود وخبرات سابقة.

**سابع هذه العوامل** هو تراجع دور الأبحاث والدراسات في تجديد فكرنا النهضوي وتطويره وتعميقه، والاكتفاء بشكل عام بترداد شعارات عامة على حساب المضامين العلمية، واجترار مقولات أيديولوجية قديمة على حساب التجديد المستمر في ضوء الحقائق التي يفرزها الواقع.

وإذا كان الإنصاف يقتضي بالإقرار بدور رائد لمركز دراسات الوحدة العربية، وبعض المبادرات الأخرى الجادة، سواء على مستوى مؤسسات أو على مستوى أفراد، في لفت الانتباه

إلى أهمية البحث العلمي والدراسة الميدانية في الواقع العربي، فإن الموضوعية تقتضي القول أيضاً إن هذا الجهد، على أهميته، لا يستطيع وحده، ومن دون دعم ومراجعة وتطوير، أن يسد الفجوات الكامنة في هذا المجال.

ومن الثَّغَرِ الكبرى في جبهتنا الثقافية العربية عموماً، وجبهتنا الثقافية القومية خصوصاً، أن العديد من مثقفينا ما زال أسير المرجعيات الفكرية الغربية، بمصطلحاتها ونمط عملها ومناهج تفكيرها، متجاهلاً الإرث الفكري والثقافي والعلمي الضخم الكامن في مخزون أمّتنا الحضاري، الذي شكّل في قرون سابقة مرجعيات رئيسية للثقافة والفكر والعلوم في الغرب، وهذا يؤكّده دائماً بعض أبرز مثقفي هذا التيار من دون أن يجد الاهتمام المطلوب.

إن من شأن الاستعانة بهذه المرجعية الفكرية العربية أن تحقّق أمرين رئيسيين، أولهما تحرير ثقافتنا من الاستتباع، ووضعها على طريق اكتشاف الخصوصيات المحركة لقوانين تطورها ذاتها، وثانيهما تحصين هذه الثقافة من خطرين، خطر الاستلاب الثقافي الأجنبي، وخطر التحجّر في نظرنا إلى تراثنا الروحي والحضاري، الذي قام أساساً على الدعوة إلى التجدّد الدائم ورفض كلّ أشكال الصنمية، بما فيها الهيمنة العقائدية والفكرية.

**ثامن هذه العوامل** هو النقص في تجديد وسائل وآليات العمل والتواصل بين أبناء الأمة وطلّاعها المناضلة، خصوصاً مع التطور المذهل والمتسارع في وسائل الإعلام الجديد ووسائل التواصل العصري؛ فلقد وفرّ هذا التطور قدرة على التواصل والاتصال على مستوى الأمة لم تنجح قوى التيار القومي العربي في الاستفادة منها بالقدر الذي استفاد منها أعداء الأمة في إحكام سيطرتهم على عقولنا وأفكارنا، ومحاولة جذب شبابنا إلى أجنداث مختلفة عن أولويات النهوض والتحرّر في الأمة.

وقد اتّضحت أهمية الاستفادة من هذا التطور الهائل في وسائل الاتصال والتواصل في ما رأيناه في حركة الميادين والساحات الثورية، التي كان يملؤها الشباب بأوقات قياسية بسبب هذه الوسائل، وهو ما كانت الأحزاب الثورية تحتاج إلى أسابيع وأشهر لتحقيقه. والتركيز على أهمية الاستفادة من هذا التطور يحتاج في الوقت ذاته إلى دراسة معمّقة لمجمل المخاطر والسلبيات التي قد ينجم عنها الاعتماد الوحيد الجانب عليها، لأنه قد يؤدي إلى دفع شبابنا إلى العيش في عالم افتراضي يبعدهم عن العالم الحقيقي الذي يعيشون فيه، كما يدفعهم إلى اعتماد هذا العالم ووسائله كبديل عن التواصل الحي مع حركة المجتمع والتفاعل مع همومها الحقيقية، ناهيك عن سهولة تشويه هذا العالم الافتراضي الجميل بجملة من الأكاذيب والافتراءات والمعلومات التي كثيراً ما تربك وعي الشباب وتشلّ إرادة الأمة.

**تاسع هذه العوامل** هو ما يسمّيه المتحاملون على التيار القومي العربي «الخطاب الخشبي»، الذي يقع فيه بعض أحزاب هذا التيار وقواه ورموزه.

لا شك أن المستهدف من التحامل هنا ليس الجمود، وإنما المبادئ التي يحملها الخطاب القومي وتمسّكه بثوابت الأمة، وذلك كي نبقى بلا أهداف واضحة وتطلعات سليمة وبوصلة تحدد لنا المسار. لكن هذا الاستهداف لا يعطينا من ضرورة المراجعة المستمرة لخطابنا السياسي في

ضوء ما تفرزه متغيرات من حولنا، ووقائع يحملها إلينا العصر، وتحولات تحملها لنا الأيام.

التطوير المطلوب هنا هو في الشكل وليس في المضمون، في الأداء وليس في الجوهر، فلا نكتفي بترداد شعارات قديمة، بل نسعى إلى تحميلها معلومات وأرقاماً وحججاً متجددة، فلا نبذو أمام الناس متخلفين عن روح العصر، فيما نحن نحمل أفكاراً متقدمة ومعبرة عن روح عصرية حقيقية، ولا نبذو متحجرين في وقت يشكّل مشروعا القومي دعوة دائمة إلى التجدد، ولا نكتفي بمخاطبة من هو مقتنع بوجهة نظرنا بل نتوجه إلى آخرين مضللّين، فنسعى إلى إقناعهم لا إلى تصنيفهم كأعداء.

إن نقطة البداية في سلامة أي خطاب سياسي وصحته وفاعليته تكمن في قدرة هذا الخطاب على كسب أكبر عدد من المؤيدين لأصحابه، بل في أن يترجم أحد أبرز قوانين حركات التحرر الذي يقول: علينا ما أمكن أن نحيد الخصم ونكسب المحاييد إلى صفنا، ونشدّ أزر الحليف أو الصديق. ولا شك أنكم قد لاحظتم على مدى العقود الماضية كيف أن بعض خطابنا القومي كان يقوم على مقولة معاكسة: خسارة الحليف، تحويل المحاييد إلى عدو، وتزويد الخصوم بقوة إضافية.

**عاشر هذه العوامل** هو النقص الفادح في اعتماد المراجعة الدائمة لأدائنا الفكري والسياسي والنضالي بحيث نتخلص من السلبيات باكراً، ونعزز الإيجابيات باكراً أيضاً. وباستثناء بعض المحاولات القليلة، التي كان أبرزها ما جرى في ندوة الحوار القومي/الديني التي نظّمها مركز دراسات الوحدة العربية في القاهرة في أواخر أيلول/سبتمبر ١٩٨٩، حيث أجرى ممثلو التيارين القومي والإسلامي نقداً ذاتياً لتجاربهما ولأخطائهما بحق بعضهما البعض، لم نسمع إلا نادراً بأحزاب ومؤسسات وشخصيات تقوم بمراجعة نقدية لتجربتها، والاستفادة من الإيجابيات والسلبيات فيها، والاعتذار الحضاري عن أخطاء ارتكبتها أو خطايا وقعت فيها.

والحديث عن المراجعة هنا لا يعني أبداً ذلك النقد الذي يأخذ طابع التجريح الذي يقوم به عادة خصوم أو أعداء لهذه الجهة أو تلك، كما لا يعني ذلك النقد الحافل بالتهشيم الذي يمارسه بعض من كان عضواً في حزب أو مؤسسة ثم خرج منها حاقداً عليها. كما أن الحديث عن المراجعة هنا لا يعني أبداً إفساح المجال لأعداء التيار الاستفادة من المراجعة للانقضاض على التيار برمته وتدميره بشكل كامل، فالمراجعة هنا هي شرط أصحابها على أنفسهم قبل أن تكون شرط أحد عليهم.

إن الأمة بحاجة إلى خطاب قومي يوحد ولا يفرّق، يصون ولا يبدد، يشد أزر الصديق ويرد كيد العدو، تماماً كما جاء يوماً في إعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة في ٢١ شباط/فبراير ١٩٥٨. كما إنها بحاجة إلى خطاب يعالج مشكلاتها بروية يغلب فيها التوازن على الأحادية، والمصلحة الوطنية والقومية على المصلحة الفئوية والذاتية، وروح الانفتاح على الآخر على روح الانغلاق؛ خطاب يلتزم المقولة التاريخية لأحد أبرز علمائنا: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيك خطأ يحتمل الصواب، فنؤسس بالفعل لخطاب تتلازم فيه وحدة الأمة مع احترام تعددية الآراء فيها.

## خامساً: سُبُل الاستنهاض (الطريق إلى الجماهير)

في ضوء هذه الأسباب على تنوعها، والتعقيدات المحيطة بها على تعددها، لا بدّ من التشديد على أن مشروع استنهاض التيار القومي العربي مشروع متكامل ومركّب ومتحرك على عدّة مستويات في آن. وكل تلكؤ عن إنجاز المهام المطلوبة في أحد هذه المستويات، أو في إحدى الدوائر التي يتحرك فيها، سوف ينعكس سلباً على مجمل المشروع.

**الدائرة الأولى** هي الدائرة الفكرية التي تنطلق بداية من الارتباط الوثيق بين مشروع استنهاض التيار القومي العربي والمشروع النهضوي العربي؛ إذ إن مشروع الاستنهاض يكاد يكون التجسيد العملي والعملياتي للمشروع النهضوي، بل إنه الترجمة التفصيلية لعناوين مشروع النهضة وأهدافه، وبالتالي لا بد من جهد فكري حقيقي لتحقيقه.

وفي هذه الدائرة ينبغي التركيز على بلورة **منظومة معرفية عربية** تتفاعل مع منظومات معرفية أخرى، لكنها تركز على تراث الأمة المعرفي، وهو غني، كما على أمم أخرى في العالم، لاسيّما أمم آسيوية وأمريكية لاتينية وأفريقية. إن هذه البلورة لا تتم إلا عبر جهد تراكمي منظم تشارك فيه مراكز البحث والدراسات، ومثقفون مؤهلون للانخراط في ورش عمل حول هذا الأمر. كما ينبغي في هذا الإطار التركيز على تعزيز البحث العلمي بكل فروعه، والسعي إلى تشجيع دراسات ميدانية تمكّننا من فهم طبيعة المشكلات والتطلعات لدى أبناء الأمة.

**الدائرة الثانية** هي الدائرة الثقافية التي ينبغي التحرك في إطارها لتحسين العمل السياسي والقومي بقدر من الثقافة والوعي، بما يحول دون محاصرته بالجهل أو التسطيح أو التضليل.

في هذا الإطار، ينبغي توسيع نطاق المنتديات وأندية الشباب، والبرامج الثقافية في القنوات التلفزيونية والصفحات الثقافية في الصحف، وإقامة دورات تثقيفية للشباب وكوادر الأحزاب وجمعيات المجتمع المدني، وإطلاق حملات مكافحة الأمية. كما ينبغي الاهتمام بالإبداع الثقافي من فنون على أنواعها، ومسرح وسينما وغيرها، باعتبارها الأقدر على إيصال الفكرة أو الموقف إلى أوسع الجماهير. وفي هذا الإطار يمكن وضع عدّة آليات لتحقيق هذا الأمر.

ويجب ألاّ نهمل هنا دور المساجد وبيوت العبادة والعلماء الأحرار في تعميم الوعي والثقافة إلى حدّ كبير، خصوصاً إذا جرى التفاعل والتواصل معهم على قاعدة التكامل بين العروبة والإسلام خصوصاً، والإيمان عموماً.

**الدائرة الثالثة** هي الدائرة السياسية التي تلخص مجمل المواقف والعلاقات الواجب اعتمادها في سبيل استنهاض التيار القومي العربي.

وإذا كانت أهداف المشروع النهضوي متلازمة بعضها مع بعض، فإن المواقف والعلاقات ينبغي أن تكون منسجمة مع هذه الأهداف وساعية إلى تحقيقها. وفي هذا الإطار تبرز مجموعة سمات ينبغي أن تتّسم بها المواقف والعلاقات السياسية، نذكر منها:

– الاستقلالية عن الواقع الرسمي والأنظمة الحاكمة. وتعريف الاستقلالية هنا هو أنها فضيلة بين رذيلتين: الانقياد الأعمى أو العداء المحموم العاجز عن التقييم الموضوعي.

– الشجاعة في الموقف، أيًا تكن التضحيات طبعاً، والشجاعة هنا أيضاً فضيلة بين رذيلتين: تهوّر من دون تبصّر من جهة، وجبن ذليل من جهة أخرى.

– «الوحدوية»، أي أن يصبّ الموقف في توحيد التيار أو المجتمع أو الأمة، وأن يتحرّر من الحسابات الصغيرة والمريضة التي تجرّ صاحبها إلى الانفعال فارتكاب الخطأ أو الخطيئة.

– ترتيب سليم للأولويات، حيث يجري التركيز على القضية المركزية كبوصلة للاتجاه السليم، فيما يتم اكتشاف عناصر الترابط بين قضايا أخرى بالغة الأهمية والقضية المركزية، بحيث لا تُغيب القضية المركزية قضايا هامة أخرى وثيقة الصلة بها، ولا تلهنا القضايا الهامة الأخرى عن القضية المركزية.

وإذا كانت قضية تحرير فلسطين وكل أرجاء الأمة من احتلال الأرض واحتلال الإرادة، هي القضية المركزية التي تتوحد عبرها الأمة، وتحقق استقلالها الوطني، وتصون أمنها القومي، وتحرر مواطنها من الاستبداد والفساد والظلم الاجتماعي، وتجدد التواصل بتراث الأمة الحضاري، فإن الطريق الأسلم والأقصر إلى التحرير هو المقاومة، سلاحاً وثقافة ونهجاً.

إن ارتباط التيار القومي العربي بالمقاومة، وانخراط قواه فيها، هما بلا شك أسرع الطرق ليتحوّل إلى تيار جماهيري على امتداد الأمة، وليست هذه الورقة هي المجال الأنسب للدخول في تفاصيل هذه الفكرة.

أما تبني التيار القومي العربي برنامجاً للعمل الوحدوي العربي يكون مرتكزاً على خطوات تدريجية، كالاتحادات الإقليمية والوحدة الاقتصادية وسكة حديد واحدة وتطبيق قرارات جامعة الدول العربية، فإنه خطوة هامة على طريق ربط الأمة بالعمل على طريق الوحدة العربية.

**الدائرة الرابعة** هي الدائرة الاجتماعية التي تسعى إلى نقل اهتمامات التيار القومي وهومومه من عقول الناس إلى بطونهم، ومن النقاش السياسي إلى العمل الاجتماعي المرتبط بحياة البشر وحاجاتهم الأساسية.

وفي هذه الدائرة تنتظم جملة مهام، أولها، بلا شك، هو انخراط قوى التيار القومي العربي في النضالات ذات البعد الاجتماعي، سواء عبر النقابات القائمة أو عبر تصويب مسارها أو تأسيس غيرها، بحيث يرتبط العمل القومي العربي بمطالب الناس الحياتية في إطار العدالة الاجتماعية من جهة، والتنمية المستقلة من جهة ثانية، أو في إطار شعار «الكفاية والعدالة» الذي أطلقه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في الستينيات من القرن الماضي.

وفي هذه الدائرة يمكن أيضاً أن ندرج الاهتمام بجمعيات أهلية متخصصة تساعد المواطنين الفقراء على مواجهة الأعباء المعيشية الصعبة المتفاقمة، بدءاً من تأمين مراكز صحية مجانية، أو مراكز تربوية، أو حملات عمل شعبي، بحيث يُقدّم المشروع القومي نفسه للمواطن مرتبطاً بلقمة عيشه أو حبة دوائه أو كتاب أولاده.



إن انحياز المشروع القومي العربي إلى الفقراء هو ترجمة لأهدافه وتعزيز لفعاليته، من دون أن يعني ذلك الانحياز استعداداً للطبقات الأخرى، بل أن يكون مترافقاً مع فهم لدور الرأسمال الوطني غير المرتهن في تحقيق نهضة استثمارية في البلاد.

وإذا كان الاهتمام بذوي الشهداء والجرحى والأسرى والمعتقلين مسألة يتلزم فيها الواجب الوطني والقومي مع الواجب الاجتماعي والأخلاقي، فإن ما يوازي ذلك أهمية هو الاهتمام بقدامى المناضلين ممن أمضوا حياتهم في النضال من أجل أمّتهم ثم وجدوا أنفسهم وحيداً في مواجهة الصعوبات، وهو ما يتطلب خطاً ومبادرات في هذا الاتجاه.

وفي هذا الإطار الاجتماعي أيضاً، تنصدر قضية البيئة اهتمامات بشرية في ظل المخاطر التي يحملها التحوّل في المناخ العالمي، وهو أمر لا يجوز أن يكون بعيداً عن اهتمامات التيار القومي العربي ليكون في قلب العصر.

**أما الدائرة الخامسة،** فهي الدائرة الإعلامية التي كثر الحديث عنها كضرورة لانطلاق التيار القومي العربي ووصوله إلى أوسع الجماهير، وهي الدائرة التي تصطدم، كغيرها، بحاجز النقص في التمويل، لاسيما حين يأتي الحديث عن قناة خاصة بهذا التيار.

هنا أعتقد أنه يمكن، وبإمكانات قليلة جداً، التعاون مع وسائل إعلام مرئية ومسموعة ومكتوبة بحيث تتيح نوافذ للتيار القومي العربي، تتسع وتضيق حسب المعارك التي يخوضها رموز هذا التيار. فالأحداث، رغم المعوقات كلها، تفرض نفسها على الإعلام، وتضطر كل وسائله إلى ملاحقة صنع الحدث بدلاً من أن يلاحقها. كما أن علينا أن ندرك أن المواطن هو الذي يلاحق الخبر أو التحليل الذي يستهويه، ولا يجوز أن نعتقد أن الإعلام منابر للوعظ أو للتثقيف، إذ لهما وسائل أخرى.

في المجال الإعلامي أيضاً ينبغي أن يقرن التيار القومي نفسه بالإعلام الجديد، أو الإعلام البديل، الذي أثبتت الأحداث فعاليته، وأن يسعى التيار إلى تعبئة طاقات الشباب في هذا المجال وبوسائل إبداعية خلّاقة.

**الدائرة السادسة** هي الدائرة التربوية التي تندرج في إطارها مناهج التعليم في مدارسنا وجامعاتنا، كما القضايا المتصلة بالطفولة وتربيتها، وصولاً إلى تعليم اللغة العربية بوصفها اللغة الأم بالنسبة إلى أطفالنا. وهنا يتعين على التيار القومي العربي أن يقود بكل قواه معركتين في آن واحد، معركة داخل قطره من أجل تصحيح مناهج التعليم لتصبح أكثر مواءمة مع هوية المجتمع وحاجاته، ومعركة قومية من أجل تفعيل جميع القرارات والسياسات والبرامج التي جرى الاتفاق عليها في إطار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وغيرها من منظمات، ولكن معظمها لم يبصر النور.

وهنا أيضاً ينبغي دعوة مختصين من أجل التفكير بوسائل مبدعة تشدّ الطفل العربي إلى لغته وهويته وثقافته وتراثه، وتصور شخصيته من الضياع.

**الدائرة السابعة** هي دائرة الشباب الذين أثبت الكثير منهم في الأعوام الأخيرة جدارة وريادة وكفاءة ونضجاً، بدءاً بالمقاومة وصولاً إلى الحراك الشعبي القومي العربي.

إن تخصيص جهد وإمكانات ووسائل من أجل آليات تعبئ طاقات الشباب يكاد يكون أحد أهم سبل استنهاض التيار القومي، لأن استنهاض حركة الشباب في إطار قومي ينعكس على جميع فئات المجتمع. وإذا كانت مخيمات الشباب القومي العربي قد شكّلت بادرة مضيئة في هذا الاتجاه، فإن عقد مؤتمر للشباب العربي يتدارس عبره هؤلاء الشباب قضاياهم وسبل استنهاض طاقاتهم هو خطوة مهمة في الاتجاه ذاته.

**الدائرة الثامنة** هي دائرة المرأة التي يشكّل انخراطها في الحياة العامة ونضال الأمة أحد مقاييس القدرة لدى الأمة ذاتها، خصوصاً بعد أن أثبتت المرأة العربية جدارة نضالية عالية في أطر المقاومة العربية وفي العديد من الأحزاب والهيئات والمؤسسات العربية. وينبغي في هذا المجال بذل جهود فكرية وعملية هائلة لتذليل العقبات المرتبطة بمشاركة المرأة، حيث إن ارتباط التيار القومي العربي بقضية المرأة العربية يحوله بالفعل إلى تيار شعبي كاسح.

**الدائرة التاسعة** هي دائرة عالمية القضية العربية أو العلاقة مع دول الجوار والعالم، وهي علاقة بالغة الحساسية، لأنه إذا أحسن التعامل معها نجح هذا التيار إلى حد كبير، وإذا لم يُحسن التعامل أصابه التعثر والارتباك.

والقاعدة المقترحة في هذا الإطار هي انفتاح واسع لا يصل إلى حدّ التبعية والالتحاق، وخصوصية لا تبرر العداء. بل إن القاعدة التي تعتقد أن تأييد الكثيرين لموقف هذه الدولة من قضاياها لا يعني أن نتحول إلى أدوات، وإن خلافتنا مع تلك الدولة لا يعني كذلك أن يتحول إلى خصومة أبدية.

إن استكمال ندوة الحوار هو علاقة العرب بأمم الجوار. وقد أدى مركز دراسات الوحدة العربية دوراً رائداً، في هذا المجال، وفي غاية الأهمية، كما إنه في توثيق الصلات على مستوى الشعوب، وبناء العلاقات مع قاعدة المصالح المحترمة والمعرّزة للسيادات الوطنية والقومية لا القائمة على حسابها.

أما على مستوى دول العالم، فينبغي دائماً أن نتذكر أن إحياء التيار القومي العربي ارتبط دائماً بإحياء كتلة عالمية مناهضة للهيمنة الاستعمارية، كما كان الأمر في مرحلة باندونغ عام ١٩٥٥.

إن إحياء حركة عالمية مناهضة للعنصرية والصهيونية يشكّل دعماً كبيراً للتيار القومي العربي، لأنه يساهم في إضعاف أبرز القوى والدول المعادية لهذا التيار، كما يساهم في دفعه إلى مواجهة تحديات بما يمكنه من تطوير خطابه وأدائه لكي يكون قادراً على التأثير دولياً.

لقد نجحت مراكز ومؤسسات قومية ذات بُعد دولي في تهيئة الظروف بقيام مثل هذه الحركة وتطويرها، وينبغي أن يساهم الجميع في إنجاح المنديات والمبادرات التي غالباً ما تنطلق من رحم هذه المؤسسات القومية.

**أما الدائرة العاشرة والأخيرة**، وهي أم الدوائر الأخرى جميعاً، فإنها دائرة التمويل التي إذا لم يجد العاملون في التيار القومي العربي حلاً لها، يبقى التيار نخبويّاً إلا في حالات استثنائية، كما رأينا في انتخابات الرئاسة المصرية، التي هي استثنائية بالفعل.

## المناقشات

### ١ - عصام نعمان

استنهاض الأمة حاجة استراتيجية ومسار تاريخي، ليس محدوداً بزمان ومكان. إنه دائم الحضور والتجدد، ولا سيما في المنعطفات الإقليمية والدولية المفضية إلى تحولات حادة في موازين القدرات والإرادات.

العرب اليوم في قلب مخاض مرير يتجدد معه وفيه مطلب استنهاض الأمة؛ فقد كسر الناس في قلوبهم وممارساتهم حاجز الخوف. خرج مارد الشعب من القمقم ولن يعود إليه أبداً.

مخاض الأمة هذا، ما تحدياته الماثلة؟ وما ديناميات مواجهتها؟

**أول** التحديات تداعي نظام الحياة العربية بما هو أنموذج مركّب من موروثات الشرق العثماني ومكتسبات الغرب الأوروبي بوجهيه الاستعماري والحداثي، الخاضع لهيمنة أمريكية تركّب موجة التكنولوجيا وثورة المعلوماتية والاتصالات، وترتهن للصهيونية العالمية. فقد كان من الطبيعي للاحتقان المترع بالضغوط المتعاظمة أن ينفجر، وأن تكون القوى الشبابية العربية هي الصاعق المفجّر للأوضاع الفاسدة المتهرّئة، وأن تكون هي أيضاً خميرة الثورة وصانعتها في آن.

**ثاني** التحديات توقُّع العرب الى الحرية والكرامة والنهضة، والمعوقات التي تواجه هذا التوق، داخلياً وخارجياً. إلى ذلك، ثمة تحدٍ يتداخل مع تحدي توق العرب إلى الحرية والكرامة والنهضة. إنه تحدي «إسرائيل» العدوانية التي تواجهها مقاومةٌ عربية ناشطة في فلسطين ولبنان وسورية.

**ثالث** التحديات صعودُ التيار الإسلامي بفصائله المتعددة والمتنافسة، وما يعكسه الصعود والتنافس من آثار في مجمل الانتفاضات الشعبية في الأقطار العربية، ولا سيما بعد وصول بعض التنظيمات الإسلامية إلى السلطة.

**رابع** التحديات تداعي نظام الرأسمالية المعولمة وآثاره في العرب والعالم.

**خامس** التحديات ثورةٌ إلكترونية في عالم الاتصال والتواصل والمواصلات والمعلوماتية، تنعكس على قوى المقاومة العربية سلباً أحياناً، وإيجاباً أحياناً أخرى.

من واقع هذه التحديات الخمسة الرئيسية تتوجب ثلاث مهام أساسية:

**أولى** المهام استنهاض الأمة وليس استنهاض التيار القومي العربي أو التيار الإسلامي أو أي تيار آخر؛ فالأمة جمعاء مُستهدفة بالتحديات الخمسة المار ذكرها، الأمر الذي يستوجب مواجهة شاملة بمشروع نهضوي متكامل، وفي سياق عربي إسلامي واحد.

**ثانية** المهام التعاطي بإيجابية مع صعود الإسلام الحركي (الراдикаلي) عموماً، والإخوان المسلمين خصوصاً، في مختلف الأقطار على نحو يؤدي إلى بناء الكتلة التاريخية المنشودة لتحقيق الأهداف الستة للمشروع النهضوي العربي الحضاري.

**ثالثة** المهام الإحاطة بأبعاد المخاض الذي يعصف بالعالم، والاستفادة من تحولاته المؤثرة والمفتاحية على نحو يكفل مشاركة العرب في إقامة النظام الكوني الجديد.

إلى ذلك، من الأهمية بمكان أن يتدارس التياران العربي والإسلامي في منظور استراتيجي، ويلتزما مهمة استعادة مركزية قضية فلسطين في الحياة العربية والإسلامية.

## ٢ - عبد الرحيم مراد

- عطفاً على ملاحظة الأخ معن بشور المتعلقة بالمناهج التربوية وكتاب التاريخ في لبنان، فإنني أرى أن المطلوب، على الصعيدين الوطني والقومي، هو وجوب تطوير هذه المناهج لتتلاءم مع متطلبات العصر، وثورة الاتصالات، والتطور العلمي في جميع المجالات، ولبناء إنسان قادر على أن يكون على مستوى المسؤولية في كافة مجالاتها، وأن يحاول تخفيف الفجوة التي تفصلنا كمجتمع ومواطنين، لبنانيين وعرباً، عن العالم الحديث، بمعنى القدرة على المشاركة والإنجاز، وليس مجرد الاستهلاك والتلقي.

- وإذا كان اتفاق الطائف قد لحظ وجوب تطوير المناهج التربوية في لبنان، فإن الذي حصل هو أن تجربة المناهج الجديدة أظهرت أنها أكثر تعقيداً من سابقتها، وأن جميع محاولات التصويب والترميم وإعادة النظر لم تفلح بالوصول إلى نتائج إيجابية، وظل التعليم العام رازحاً تحت عبء الكم، وثقل مراكمة الدروس، خاصة بالنسبة إلى امتحانات الشهادات الرسمية، ربما لأن فكرة التطوير نفسها لم تأخذ حقها من النقاش العلمي والموضوعي والجاد، وتم اللجوء إلى نقل المناهج الفرنسية ومحاولة تكييفها لبنانياً، الأمر الذي أدى إلى أخطاء كثيرة بحق كتاب اللغة العربية وغيره.

- وعلى صعيد كتاب التاريخ، فإن الذهنية الطائفية لوزارات ما بعد الطائف تحكمت في تشكيل اللجان المعنية بتأليفه، الأمر الذي أدى إلى فشل محاولاتها، لذلك قمت حين توليت وزارة التربية والتعليم العالي، بتأليف لجنة من أصحاب الاختصاص في كل من التاريخ القديم، والتاريخ الوسيط، والتاريخ الحديث، بعيداً عن المنطق الطائفي أو المذهبي. وقد أنجزت هذه اللجنة القسم الأكبر من الكتاب في مختلف مراحل التعليم ومستوياته، لكن لم يتم في ما بعد البناء على ما قامت به، وبقي الأمر على ما هو عليه.

- وليس من قبيل المصادفة أن التربية مقرونة بالتعليم في جميع الوزارات في العالم، الأمر

الذي يعني أن المدارس هي مؤسسات تربوية تعليمية، تعتني بجانب الشخصية لدى الإنسان، الجانب التكويني والحياتي والمجتمعي، والجانب المعرفي والتحصيلي، إضافة إلى ملاحظة تقديم كلمة التربية على كلمة التعليم لاستشعار أهمية المجال التربوي وألويته على المجال التعليمي، لذلك نجحت الدول التي أناطت هذه المهمة بالمؤسسات المدرسية، وهذا الأمر غير متوافر في لبنان لأن الهوية التربوية للمدرسة مرتبطة بالانتماء الديني أو المذهبي أو الطائفي، حتى أن المدرسة الرسمية لم تسلم من هذه الصبغة وفقاً للأماكن والمناطق. لذلك، فإننا نؤكد أهمية مؤسسات المجتمع الأهلي ودور المنازل ومؤسسات الأسرة، ودور وسائل الإعلام، المرئية والمسموعة والمقروءة، والمؤسسات الدينية والمساجد والكنائس وغيرها، في تقديم خطاب أهلي وطني جامع، يساعد على تربية سليمة، بعيداً عن التعصب والبغضاء.

- إن المحصلة العامة لعنوان التطور عند جميع الدول هو الاعتماد على الإنسان من خلال تبسيط وتسهيل المناهج والمقررات الدراسية. وأقرب مثال على ذلك في عصرنا الحاضر، دولة ماليزيا التي رصدت قبل عشر سنوات مبلغ ١٥ مليار دولار لخطة تنمية تربوية تعليمية، تنتهي في عام ٢٠٢٠، من أهدافها اعتماد الوسائل التعليمية الحديثة التي توظف حقول المعلوماتية في الدراسة المدرسية والجامعية، وصولاً إلى إمكان الاستغناء عن الورقة والقلم والكتاب.

- أما بالنسبة إلى الجانب الديني في حياة الأمم والشعوب، فإن المأخذ على التيار القومي العربي هو أنه تجاهل هذه النقطة وترك الموضوع لرجال دين انتشروا في المؤسسات الدينية، واهتموا بالكثير من الشكليات والقشور، من دون البحث في جوهر الدين وحقيقته، وقدموا أنفسهم إلى المجتمع باعتبارهم مؤتمنين على الرسالة ومكلفين شرعاً برسم المسافات وتحديدها، بين الإيمان والكفر والحلال والحرام والحق والباطل، فكان هذا التمزق والتشتت والتخلف الديني الذي نلاحظه في مجتمعنا العربي دون سائر المجتمعات الإسلامية غير العربية، التي تطور بعضها تطوراً علمياً وحضارياً، كتركيا وإيران وماليزيا وإندونيسيا وكازاخستان، ربما لأن هذه المجتمعات نظرت إلى جوهر الدين، وأنه رسالة من أجل الإنسان وبنائه، ولأنها فهمت معنى البدء القرآني (اقرأ).

وهنا، بالمناسبة، يجب على التيار القومي العربي أن يعيد قراءة التجربة الناصرية بالنسبة إلى تطوير الأزهر وبعثات هذه المؤسسة العريقة إلى أفريقيا وإلى آسيا، وبالتحديد إلى إندونيسيا وماليزيا، ودورها التنويري على هذا الصعيد. فإعادة قراءة هذه التجربة مفيدة أيضاً لفتح حوار معمق بين التيار العربي والتيار الديني، ينتهي إلى مصالحة تامة بينهما، لأن لا تناقض بينهما في الجوهر.

- وعلى صعيد الإعلام، أصبح الدور الأكبر اليوم من نصيب الإعلام المرئي، الذي يصدق عليه قول أ. محمد حسنين هيكل بأنه لو كان هناك تلفزيون أيام كارل ماركس لما احتاج إلى حزب شيوعي. لذلك يجب إيجاد وسيلة إعلامية تتناسب مع الدور المطلوب من التيار العربي، تتوجه بخطاب عقلائي ومنطقي إلى جميع شرائح المجتمع العربي، وتحمل مسؤولية الكلمة بكل أبعادها، على ألسنة أصحاب هذا الهم، في ظل هذه الضوضاء السياسية

والإعلامية في كل مكان، من دون أن ننسى حاجات هذا الجيل من الناشئة والشباب، الذي أثبت أن وعيه بواقعه تجاوز الكثير من حساباتنا وأفكارنا عنه، وعلينا أن نستوعب طموحه وهمومه، ونساعده على تبين الوجهة الصحيحة، سياسياً وثقافياً واجتماعياً.

- العمل على تنمية الريف العربي، بإنشاء المزيد من المدارس والجامعات، لتعميم التعليم العالي، تحديداً، وجعله أكثر يسراً وسهولة، وأقرب إلى أماكن إقامة الراغبين فيه، والقادرين عليه. وقد أثبتت تجربة كوريا الجنوبية، التي اعتمدت خططاً بإنماء الريف، أهمية هذا الخيار، وأصبحت من الدول المعدودة التي انتقلت بسرعة من التخلف إلى التقدم اعتماداً على حسن التخطيط والنجاح فيه. وليس الموضوع متعلقاً فقط بالتعليم الأكاديمي والمهني، وإنما بوعي عام أيضاً، يكون فيه دور لمنظمات المجتمع المدني في التوعية من خلال الأندية الرياضية والكشفية والمكتبات العامة، والمحاضرات والندوات ودورات الإعداد والمراكز الثقافية وغيرها، وهو دور ليس مقصوراً على الرجال، وإنما للنساء مساهمة واضحة فيه أيضاً، ليتكامل المجتمع على الصعد كلها.

- من المهم إعادة النظر في فهم دور النفط في الحياة العربية، حيث تحولت هذه الثروة إلى نقمة في بازار صراعات النفوذ على الصعيد الدولي، وأصبحت مبرراً لنمط استهلاكي قائم على البذخ اللامتناهي، الذي يبدها أمام إغراءات السوق، حيث نجحت الدول المستهلكة للبترول في أن تجعل من هذه الطاقة قوة إنتاجية لمواردها، في حين عجزت الدول العربية المنتجة لهذه الثروة في أن تتحول، ولو في الحد الأدنى، إلى مجتمعات حديثة بالمفهوم العلمي والموضوعي والتنموي. من هنا الحاجة إلى تنظيم ندوة عن النفط ودوره في مجتمعاتنا، وما لهذه الثروة وما عليها.

### ٣ - عمر الزين

إن ما أورده أ. معن بشور من أفكار جديدة تستدعي الاهتمام، ولا بد من وضعها أمام أوسع المنظمات والجمعيات والهيئات والنقابات العربية التي يطلق عليها مؤسسات المجتمع المدني العربي، وذلك لإجراء المناقشة المسؤولة والهادفة بشأنها.

عندي في ما يتعلق بهذه الورقة ملاحظات أربع:

**أولاً:** لم تتطرق الورقة إلى التكوين البشري العربي، حيث إن معرفة هذا التكوين التفصيلية أمر ضروري يستلزمه المشروع النهضوي العربي لمعالجة أمراضه.

**ثانياً:** تطرقت الورقة إلى الثقافة والتربية، إلا أنها لم تشدد على المواطن باعتبارها اللبنة الأساسية لبناء مواطن عربي يستطيع أن يكون أحد الذين يحملون المشروع النهضوي العربي بجدارة، وأحد الفاعلين في استنهاض التيار القومي العربي، ويكون لديه القدرة على أن يقف مع حاملي هذا المشروع ضد التبعية والاستبداد والفساد.

**ثالثاً:** لم تتطرق الورقة إلى الموقف من جامعة الدول العربية، من ضرورة وجودها أو من عدمه، وفي حال الإيجاب، ما هي التعديلات المقترحة بشأنها في ضوء تجربة عملها منذ

تأسيسها في العام ١٩٤٥ حتى تاريخه، علماً أن هناك جهداً كبيراً على مستويات حقوق الإنسان، والملكية الفكرية، وتوحيد التشريعات والمصطلحات، ورؤى بحاجة إلى تنفيذ تتعلق بالسوق العربية المشتركة على مستوى الأمة، وغيرها من الأمور التي لا تحظى بالاهتمام المطلوب بسبب آليات التناغم بين مؤسسات المجتمع المدني العربي والإدارات المختلفة في الجامعة الموجود حالياً. المقصود في هذا الكلام طرح سؤال كبير هو كيف نعيد الروح الوحدوية والعروبية إلى الأمة، التي هي جزء أساسي من مهمات التيار القومي العربي من خلال استنهاضه.

**رابعاً:** لم تتطرق الورقة إلى كيفية تشكيل الأداة المطلوبة لاستنهاض التيار القومي العربي، مع الأخذ بعين الاعتبار النقد والنقد الذاتي الواجب حصوله من جانب جميع المتعاطين بالشأن القومي العربي، مع إفساحهم المجال جميعاً لشباب الأمة لأخذ دورهم الطبيعي في هذه المهمات.

#### ٤ - سايد فرنجية

تعامل الفكر القومي العربي مع مفهوم القومية العربية بوصفها إنجازاً من الماضي لا باعتبارها مشروعاً حضارياً للحاضر والمستقبل. لذا، تعثرت مهمة نقل الفكرة القومية العربية من عالم النظرية إلى عالم الواقع. وحصل تقصير، رغم الإنجازات المحدودة، عن بلوغ الهدف المتمثل في تحقيق نهضة عربية؛ إذ اعتبر أحد قادة الفكر القومي العربي «أن الحركة الثورية الانقلابية هي نقيض الحركة الإصلاحية، والتفكير التطوري شذوذ مَرَضِي»، بينما شدد ساطع الحصري على ضرورة سير العرب على طريق التطور والتجديد.

ولأن الضعف أصاب الوعي القومي العربي في مراحل تاريخية متطاولة، لم تستطع الأفكار القومية أن تطور نفسها، بل على العكس عطّلت تدريجاً بعض مكوناتها.

تعود أزمة الفكر القومي العربي إلى الجمود الفكري الذي حوّل هذا الفكر إلى دوغما أيديولوجية خدمة لقوى قومية أمسكت بالسلطة في أكثر من بلد عربي، ولم تحقق الأهداف القومية والاجتماعية التي كانت قد نادت بها لتسويغ وصولها إلى السلطة.

وبرزت أزمة الفكر القومي العربي بقيام الأنظمة القومية البيروقراطية بتعطيل التفكير المبدع، ومصادرة الحريات الديمقراطية واعتبارها وقفاً على أشخاص الحكام وعلى حساب الفرد والمجتمع.

لقد استخف الفكر القومي العربي بالديمقراطية بعد أن غيَّبها ووضع الشرعية الانقلابية في مواجهتها، وأغرقها في جدال ونقاش حول ما إذا كانت الديمقراطية غربية واستعمارية، لأن الحكام لا يريدون الديمقراطية، لا فكرياً ولا ممارسة.

هذه المعطيات شكّلت عوامل فاعلة في تراجع ارتباط الجماهير بحاملي المشروع القومي، لأنهم أفرغوه من مضمونه وحوّلوه كلاماً أجوف.

لا بد من التمييز بين الوجود القومي والوعي القومي، وضرورة حسم جدلية التوافق بين

الأصالة والحدثة، لأن فكرة القومية العربية لا يمكن أن تطبّق إلا في مجتمع اكتملت فيه عناصر الحدثة والديمقراطية، ولو بحد أدنى.

إن ما يجب تجديده هو ربط المشروع العربي بقواه الاجتماعية لتأمين مساهمة الجماهير في إغنائه، لأن الجماهير كانت انفضّت من حول المشروع لفقدانها الثقة بالقوى القومية التي حملته.

ومن دروس الحياة والمجتمع والتطور والأفكار التي تنضج في رحم التجربة، أنه لا بد من تحويل الفكر العربي من نتاج مثقفين إلى حركة سياسية فاعلة، بعد تجديد الفكر القومي العربي والمساهمة في بلورة مشروع نهضة عربية ديمقراطية.

غني عن البيان أن الفكر القومي العربي متجدد نسبياً بحكم تناوله من قبل بعض المفكرين والباحثين العرب، لكن يجب أن يبقى دوماً مطروحاً للنقاش والبحث والتطوير والتجديد.

## ٥ - أنطوان سيف

قال صاحب الورقة في مقدّمته الشفهية لها، وقد سمعناها منه للتوّ: «هذه ورقة تسجيلية أكثر ممّا هي تحليلية. وهي جبل من المعارف. وإن أهمية هذا النقاش (حولها يكمن) في ما تضيفونه إليها أو ما تشطبونه منها».

في الواقع، الشمولية التي تتسم بها الورقة ليست كميّة فحسب؛ فهي بهذا الكمّ تتجاوز الشروط الموضوعيّة لنقاش مماثل لحجمها، نظراً إلى الدقائق القليلة المعطاة لكل مداخلة عليها، بل هي بالأساس موقف مبدئي للمُحاضر يجعل التيار القومي العربي، المنطلق منذ القرن التاسع عشر، يقوم على «التنوّع والتكامل» بين القوى والأفراد التي تعمل، في مختلف الحقول، على تحقيق ما يسمّيه «المشروع النهضوي» العربي. كما يذكر المحاضر في ورقته عدداً من الإنجازات التي حقّقها هذا التيار في جمّعه معاً القوى «القومية العربية» الكبرى الثلاث: اليسارية والليبرالية والإسلامية، في مؤتمرات قومية منذ تسعينيات القرن الماضي، متجاوزاً بذلك الخلافات الأيديولوجية، لا بل على الرغم من وجودها.

إن فكرة «التنوع والتكامل»، أو ما بات يُعرّف بالتنوع في الوحدة، أو بالأحرى بالتنوع من أجل ضمان أكيد لبلوغ الوحدة، هي جديدة في توصيف التيار القومي العربي، وهي على نقيض تام مع ما أظهرته «معظم الأنظمة (السياسية) والتنظيمات المنتسبة إلى التيار القومي العربي... من ممارسات استبدادية»، ولكن من غير أن يذكّر بالاسم هذه الأنظمة الاستبدادية في مصر والعراق وسورية وليبيا....

واللافت هنا، أن الكلام على «التنوع والتكامل» بدأ منذ العام ١٩٩٤، على يد د. خير الدين حسيب، أحد مؤسسي المؤتمر القومي العربي، أي قبل حوالى عقدين من بروز حركات «الربيع العربي» الراهنة والفكرة الجديدة الثانية هي تجديده التيار القومي العربي بمقولة «المشروع النهضوي» المستقبلي الذي يضم أطرافاً متنوعة، بل متناقضة! لقد قام الفكر القومي عموماً، والعربي منه خصوصاً، على تقديم البُعد التاريخي الماضوي للأمة والمبالغة



في الإشادة به، ودرء النقد العقلاني عنه (وهذا ما عُرف بالشوفينية)، وذلك قبل المغرب العربي بعقود عدّة. وهذا الموقف «الجديد» هو انقلاب على ما سمّاه المحاضر «التيار القومي بالمعنى التقليدي»، يتماشى مع نزعة فلسفية وجودية معاصرة ترى في الهوية، الفردية والجمعية، تلاقي قطبي الماضي والمستقبل (المشروع الإرادي) معاً. هذا التحرّر من أعباء التاريخ، لا من التاريخ الخاضع للوعي وأحكامه، هو مطمح مميز، وليس واقعاً عاماً، حيث ما زالت المواقف التقليدية، القومية وغيرها، ترى في الماضي ملجأً متوهماً آمناً لا علاج منه فعلاً إلا بالتربية وبمزيد من الوعي، وبخاصة بالحوار الحر العقلاني، في بيئة تزداد حرياتها الديمقراطية، وينبغي ذلك، باستمرار.

يعرف المحاضر أن أصحاب الأصالة (الأصوليين) وأصحاب المعاصرة (الحداثيين) لا يزالون في مواقفهم المتقابلة، على الرغم من نداءات مؤتمراته المتكررة ودعوات النوايا الحسنة، بتجاوز هذا الانقسام. وحدها الديمقراطية تعطي لهذا الخلاف شرعيته، إذ تصبح أدوات التعبير عنه، وأدوات النضال، سلمية ومقبولة تحت مبدأ الحق في الاختلاف، الذي هو ركن الديمقراطية الحقّة وحياتها.

إن كل بنية بشرية تعجّ بالتناقضات التي يمكن إخفاؤها بالقمع والاستبداد، ولزمن لا يطول؛ كما يمكن الاعتراف بشرعيتها وحتى بضرورتها الدينامية، ضمن إطار نظام ديمقراطي فعلي. والفكر الجدلي هو الأجدر بالتعامل مع التناقضات التي يتمّ تجاوزها بالحوار العقلاني الذي تؤمنه بيئة ديمقراطية، وباستمرار، بتوليفة منطقية لا بمساومة.

فالبيئة العربية لم تختبر بالعمق الحياة الديمقراطية بسبب استبداد الأنظمة السياسية التي استولت عليها تجمّعات فتوية مختلفة الانتماءات. و«الربيع العربي»، وبصرف النظر عن الحكم القيمي على إنجازاته أو خيباته أو الخيبات منه للساعة، أدخل بالفعل واقعاً ديمقراطياً حقيقياً في هذه البيئة العربية التي كانت مقفلة، وهو فكرة الميدان والساحة والشارع بإزاء السلطة السياسية، ورقياً علنياً عليها. البعض لمّح إلى أن هذه الثورات هي ثورات على الثورات التي سبقتها، أو على ما آلت إليه تلك الثورات. ومنطق التاريخ لا يكذب هذه الأحكام، إذ كل ثورة هي إلغاء لما سبقها، كلياً أو جزئياً. و«الميدان»، برميته، هو ظاهرة ديمقراطية ينبغي صونها دوماً والدفاع عنها. وهو يعني حضور المجتمع المدني شرعياً في الرقابة والمساءلة والمحاسبة للسلطة السياسية، وهذا كسر للاستفراد السلطوي غير مسبوق على نطاق واسع عربياً. وهذا المجتمع المدني ينبغي ألا ندع السلطة السياسية تختزله في نفسها أو في اصطناعها هيئات أهلية مزعومة مكانها، كائنة ما كانت طبيعة هذه السلطة، لأنه المعبر عن دينامية شعبية حرّة تضم الملايين. وينبغي أن ينافس الكثير من أعمال وأنشطة السلطة السياسية في الإعلام الحر، وبأدواته كافة، وفي التعليم والهيئات الاجتماعية والثقافية والنقابية والسياسية (الأحزاب خارج السلطة) عموماً...

يرى المحاضر أن هذه الانتفاضات تندرج في الإطار الواسع للصورة «الجديدة» للتيار القومي العربي، فليكن، شرط أن يدرك الفاعلون ذلك، وأن المسألة ليست مجرد سوء فهم في استخدام المصطلحات.

مهما يكن، ينبغي أن يضع توحّد القوى العربية الحيّة في أولوياته، وفوق جميع الاعتبارات والخلافات الفئوية، تثبيت نظام ديمقراطي قادر وحده على صون الحريات العامة كافة في رحاب القانون العام، وحقوق الإنسان، إذ هو الإطار الأسلم والأوسع لوعي الإمكانات والمعوقات، وفرز قواها، وللتحرّر والتحرير، والإسهام العربي الأرحب في مسيرة التقدّم البشري.

## ٦ - زياد حافظ

لديّ ثلاث ملاحظات:

**الملاحظة الأولى** هي حول ما اقترحه البعض في هذه الحلقة حول «ضرورة تجديد الفكر القومي». لا أعتقد أن هذه الملاحظة دقيقة، لأن الفكر القومي العربي فكر إنساني منبثق عن الوجدان، ويتفاعل دائماً مع التطوّرات. علينا أن نتكلّم على «مسارات» في الفكر والعمل القومي، مما يدلّ على أن الفكر القومي متحرّك وليس جامداً. وما أصدره مركز دراسات الوحدة العربية من إنتاج فكري في هذا الموضوع خير دليل على الجهود المستمرة في تفاعل الفكر القومي مع المستجدّات. ويمكنني أن أضيف: إذا كان هناك من اقتراح ملموس حول جهة «التجديد»، فعلى أصحاب الاقتراح أن يقدّموا ذلك، وألا يكتفوا بطرح فكرة «التجديد» من دون تحديد المضمون. كما أن من المفيد تحديد كيف سيتم ذلك ومن سيقوم به.

**الملاحظة الثانية** هي حول دور السلطة في استنهاض العمل. كل ما يمكن أن يصدر عنّا وعن تحركات شعبية، وفقاً لما أتت به ورقة أ. معن، يشكّل في رأيي شرطاً ضرورياً، وليس شرطاً كافياً. وما زلت من الذين يؤمنون بدور الدولة القاعدة في استنهاض العمل القومي، لأن إمكانات الدولة بطبيعتها أفعل من إمكانات المؤسسات المدنية التي تعمل على استنهاض العمل القومي. وبالتالي، فإن مسألة السلطة يجب أن تكون في قلب تحرّكنا. ويجب ألاّ نخجل من القول إن هدفنا هو وصول تيارنا إلى السلطة لتحقيق أهداف المشروع النهضوي العربي.

**الملاحظة الثالثة** تتعلّق بآليات استنهاض العمل القومي. في هذا السياق، لا بد لنا من استعمال التكنولوجيا الحديثة الموجودة بين أيدينا للتواصل مع أكبر قاعدة ممكنة من الجماهير العربية. في الماضي، وحتى وقت قريب، كان التنظيم السياسي بجميع تشكيلاته الوسيلة لإيصال المعلومة وللتعبئة والتنظيم وللقيادة. أما اليوم، فيمكن أن تتم تلك العمليات عبر وسائل التواصل الحديثة، من إنترنت وفيسبوك وتويتر، أو أية وسيلة تواصل يمكن الحصول عليها. اليوم نعيش عصر العلاقات الشبكية، وعلى التشكيلات السياسية المنظمة أن تعي ذلك وتتكيف مع هذه الثورات. العلاقات الشبكية تستطيع أن تشمل أكبر عدد ممكن من الناس، بينما التشكيلات السياسية بسبب تكوينها لا تشمل في أحسن الحالات إلاّ المناصرين والمحازبين. إن العلاقات الشبكية أنجزت الحراك الشعبي في كل من تونس ومصر من دون اللجوء إلى «التنظيم» أو «القائد» أو «البرنامج» أو «النظرية». صحيح أن الثورة المضادة تحاول الالتفاف على ذلك الحراك، ولكن ذلك لا ينفي وقوع الإنجاز التاريخي في التغيير عبر العلاقات الشبكية، وهذه حالة يجب أن نقف عليها وندرسها ونستخلص العبر منها لاستنهاض العمل القومي.

## ٧ - ساسين عساف

الأفكار التي يقدّمها أ. معن بشّور في هذه الورقة غنية وواضحة وواقعية وذات قابلية عالية للتنفيذ. قد نمتلك أفكاراً يمكن إضافتها، لكن الوقت لا يسمح للمزيد منها وشرحها أو تسويقها، لذلك ارتأيت أن أقول رأيي بشيء من التركيز والاختصار، مثمناً للأستاذ معن جهده، وهو العارف والخبير بشؤون التيار القومي العربي تكويناً ومنطقاً ومساراً وأهدافاً وإنجازات.

- عديدة هي الأطراف المعنية بالأفكار الواردة في هذه الورقة، ممّن هم من خارج التيار القومي، لكنهم يتقاطعون مع مكوّناته عند العناصر السّنة المكوّنة لمشروع النهوض العربي. لذلك أقترح أن تُعقد جلسات نقاش مع جميع المنخرطين في هذا المشروع.

- الحركة الاستنهاضية للتيار القومي العربي محكومة موضوعياً بـ: تحولات الواقع العربي والإقليمي والدولي؛ التحولات داخل مكوّنات التيار نفسه، الإسلامي والماركسي والليبرالي، وذلك في ضوء تجربة العقدين الأخيرين؛ استشراف ملامح المشهد السياسي للعقد الآتي، ووضع سبل الاستنهاض في ضوء مؤشرات.

لذلك، وتمهيداً لنقاش معمّق ومستفيض حول الأفكار الواردة في هذه الورقة، أقترح إعداد ورقة خلفية تدرس بعمق التحوّلات المشار إليها آنفاً، وتستشرف مآلاتها.

- العمل الاستنهاضي يقتضي بالضرورة إعادة تأسيس معرفي بالذات وبالأخر. لذلك، لا بد من مراجعة نقدية موضوعية عامة تطاول: العلاقات بين مكوّنات التيار القومي العربي وتعبيراتها التنظيمية والنضالية (المؤتمر القومي - الإسلامي ومؤتمر الأحزاب العربية..); العلاقات القائمة بين التيار والسلطات والأنظمة العربية والنظام العربي الرسمي ومؤسساته كافة؛ علاقة التيار بسائر القوى الفاعلة والحياة في المجتمع العربي، وخصوصاً علاقته بالإسلام السياسي الحركي، لاسيّما أن هذا الإسلام انتقل من مرحلة الدعوة الى مرحلة التمكين؛ علاقة التيار بال جماهير العربية واهتماماتها الحقيقية، وخصوصاً الاجتماعية منها والتربوية والثقافية، بوصفه مرجعية شعبية؛ علاقة التيار بمكوّنات المجتمع العربي وهوياته الفرعية.. فالتيار مؤمن بالعروبة الاحتضانية، عروبة المشاركة والمواطنة المتساوية في الحقوق والواجبات.

أعتقد أن مراجعة عامة لمجمل هذه العلاقات تشكّل المدخل الطبيعي أو الممرّ الإلزامي لأي تحرّك استنهاضي للتيار القومي العربي.

## ٨ - نيفين مسعد

أشكر أ. معن على هذه الورقة الشاملة، وسأركز على نقطة تتعلق بجوّها العام، ونقطة أخرى تتعلق بمدخلة وردت على الطاولة.

- النقطة المتعلقة بالجو العام للورقة هي أننا حين نقرأها لن نتيبّن، إلا في إشارات محدودة، أن الدول العربية شهدت أربع ثورات أطاحت رؤوس النظم السياسية فيها، وشهد بعضها الآخر العديد من الحركات الاحتجاجية. وفي الواقع، إن الجماهير العربية شعرت بأن العربيين

خذلوها في مناسبتين، الأولى في أثناء المعركة مع النظم لإسقاطها، حيث وقف العربيون ساكنين، وبالتالي كان من المعهود أن نسمع في تونس ومصر وليبيا واليمن استصراخ العرب للضغط على حكوماتهم لاتخاذ مواقف تساند الكفاح ضد النظم المستبدة. والثانية بعد إسقاط النظم في عدد من الدول العربية؛ إذ لم يلمس الثوار أي دعم لهم من قِبَل التيار القومي العربي ولا كان له وجود في دولهم، وهو ما أدى إلى تسلّم التيار الأكثر تنظيماً، أي الإسلاميين، السلطة. لذلك، فإن دعوة الورقة إلى التوجه إلى الشباب العربي في دول الثورات العربية إنما تختزل الجماهير في الشباب، علماً بأن الشباب يفصل بين تأييده للقضية الفلسطينية وعدم تفاعله إيجاباً مع التيار القومي العربي، الذي يرتبط في أذهانهم بالتجربة الناصرية وحكم العسكر والحكم المتسلط، وذلك بعد ستين عاماً من تشويه متعمد لهذه التجربة.

– النقطة التي تتعلق بمداخلة وردت على الطاولة هي الخاصة بالدعوة إلى إسقاط جامعة الدول العربية وإقامة جامعة أخرى بين الشعوب العربية. في واقع الأمر، سبق أن طُرحت هذه الدعوة بعد احتلال العراق، لكن قيل رداً عليها إن الظرف غير مناسب لإنشاء جامعة بديلة، وبالتالي فإن إسقاط الجامعة القائمة لن يؤدي إلا إلى وأدها إلى الأبد، من دون ضمانة لقيام جامعة للشعوب العربية. المطلوب هو تفعيل الجامعة وتطويرها لكي تكون لها ذراع شعبية فاعلة ومؤثرة وقادرة على التواصل مع بلدان الثورات العربية، كنواة للتغيير على مستوى الوطن العربي.

## ٩ – مورييس أبو ناضر

عبّرت الفكرة القومية منذ نشوئها في بداية القرن العشرين عن حاجة موضوعية وتاريخية بالنسبة إلى العرب كجماعة قومية مهضومة الحقوق في نطاق الرابطة العثمانية، ومجزأة إلى دويلات بعد الاحتلال الكولونيالي للشرق. هذه الحاجة التي كان يتحسّسها العرب، دفعتهم إلى طرح مشروعهم القومي الذي يدعو إلى الوقوف في وجه التجزئة والتأخر، والعمل من أجل الوحدة بين الأقطار العربية.

لا شك أن ورقة أ. معن بشّور تغطي جميع الأفكار التي يمكن الاستعانة بها لاستنهاض **الفكرة القومية**، وهي ورقة مميّزة بطروحاتها واستنتاجاتها، ولكنها تنسى قطاعاً كبيراً من الشعب العربي، هو قطاع الشباب، الذي لا بد من التوجه إليه بلغة جديدة؛ لغة تأخذ بعين الاعتبار ثوابت الفكرة القومية (اللغة والأرض، والتاريخ)، وتنظر في الآن نفسه إلى التحوّلات التي طرأت على الوطن العربي وحوّلت الواجب إلى ممكن، والرغبة إلى مصلحة، والماضي إلى مستقبل.

## ١٠ – فارس أبي صعب

تناولت الورقة مجموعة أفكار مهمة، منها ما يتحمل مزيداً من المناقشة، ومنها ما يمكن أن يؤسس فعلاً لانطلاقة جديدة للمشروع القومي العربي.

إن أية حركة تفعيل للتيار القومي العربي تتطلب من التيار اتخاذ موقف واضح من ثلاثة

تناقضات موضوعية لا يمكن تجاهلها، مع العلم أن الورقة أشارت إليها بطريقة أو بأخرى:

- **محلياً:** على التيار القومي العربي أن يوضح موقفه تجاه القضية الاجتماعية - الاقتصادية داخل المجتمعات القطرية. بمعنى آخر: هل يستطيع التيار القومي العربي أن يتجاهل البُعد الطبقي للتناقضات الاجتماعية داخل المجتمعات العربية؟ هذا لا يعني طبعاً، كما تتخوف الورقة، أن ينحاز التيار إلى الفقراء ويعلن العداء للطبقات الأخرى. المسألة ليست مسألة «عصبية» طبقية كما فهمتها بعض التجارب الحزبية العربية في الماضي. المسألة مسألة خيارات اقتصادية - اجتماعية تضمن التوزيع العادل للثروة ومنع تركزها الحاد، والتنمية المتوازنة قطاعياً ومناطقياً، وتكافؤ الفرص، وتوفير الشروط الأساسية للحياة الكريمة لجميع المواطنين... وهذا أمر يطرح سؤالاً جوهرياً: أي نموذج اقتصادي يتبنّاه التيار القومي العربي، وما هو موقفه من النظام الرأسمالي الذي سبّب كل هذه الهوة بين الطبقات الاجتماعية وكل هذا التركيز للثروة في أيدي أقلية من المواطنين؟

إن قدرة التيار القومي العربي على بلورة رؤية واضحة للنظام الاقتصادي البديل الذي يمكن اعتماده عربياً - على الأقل - هو الكفيل بخلق التفاف شعبي عربي واسع حول هذا التيار.

- **إقليمياً:** هل يستطيع التيار القومي العربي تجاهل التناقض السائد بين محورين أساسيين سائدين على الساحة العربية تجاه القضية المركزية، أي القضية الفلسطينية والصراع العربي - الإسرائيلي؟ مع العلم أن جهوداً حثيثة وإمكانات مالية وإعلامية ضخمة توظفها بعض الحكومات العربية لتغيب هذه القضية وتحريف التناقضات على الساحة العربية، من خلال تضخيم تناقضات هامشية موجودة، أو خلق تناقضات افتراضية بين فئات اجتماعية مختلفة على الساحة العربية أو مع شعوب صديقة ومساندة للقضايا العربية، مقابل تقديم التنازل تلو التنازل للكيان الصهيوني.

لذلك، إن مشروعاً سياسياً للتيار القومي العربي يجب أن يحافظ على القضية الفلسطينية وقضية تحرير فلسطين كقضية مركزية تبنى على أساسها التحالفات العربية والإقليمية.

- **دولياً:** هل يستطيع التيار القومي العربي تجاهل التناقض الأساسي مع المشروع الإمبريالي بمختلف أبعاده الاقتصادية والسياسية والعسكرية وامتداداته العربية والإقليمية؟ من المؤسف أن هذا التناقض أسقط كلياً وسط النظام الرسمي العربي، حتى إن احتلال بلد عربي أو شن عدوان عليه وتدميره من جانب حلف الأطلسي بحجة إسقاط حاكم مستبد بات أمراً مقبولاً من جانب فئات واسعة من الشعب العربي، أيضاً تحت شعار الديمقراطية بأي ثمن.

وسط هذه الجحافل من الفضائيات العربية المتضاربة الاتجاهات والمحكومة في معظمها بأموال النفط ومرجعياته السياسية، بات الرأي العام العربي مشوّشاً ومشوّهاً حول كثير من القضايا والتناقضات والخيارات المتعلقة بحقوقه ومصالحه وتطلعاته، وهو أمر يحتاج فعلاً إلى بذل جهد فكري وثقافي وإعلامي واسع لمواجهته، ولإعادة صقل وبلورة الثقافة السياسية في المجتمع العربي على نحو يعيد ترتيب الأولويات لدى الرأي العام العربي في اتجاه تعزيز تمسّكه بحقوقه وقضايا المحورية محلياً وإقليمياً ودولياً.

## ١١ - رحاب مكحل

أولاً، طرح كلام د. مورييس أبو ناضر موضوعاً هاماً جداً إذ تحدث عن اهتمامات للشباب ولغتهم وخطابهم البعيد عن اهتمام التيار القومي، والبعيد عن القضايا الأساسية مثل الوحدة وفلسطين وغيرها. وأنا أعتقد أن هذا الكلام يحتاج إلى مناقشة، ويتطلب أن يقوم مركز علمي وجدّي، كمركز دراسات الوحدة العربية، بالإعداد لندوة خاصة عن الشباب (مشاركتهم في الحراك الشعبي العربي، اهتماماتهم، همومهم، قضاياهم الخاصة وقضاياهم الوطنية والقومية)، وعمّا إذا كان الانطباع عن إدارتهم الظاهر لقضايا الأمة صحيحاً أم لا؟

ثانياً، في تعداد أسباب انحسار التيار القومي العربي، لم يشأ أ. معن أن يسقط بعض النقاط المضيئة في التجربة، فتوقف عند اهتمام هذا التيار بالشباب. من المؤكد أن تجربة مخيمات الشباب القومي العربي التي انطلقت عام ١٩٩٠ كانت تجربة متميزة، ومن أهم الإضاءات في عملنا الشعبي العربي، وقد تخرّج منها، ومن تجارب مماثلة، مجموعة كبيرة من الشباب التي أدت دوراً، ولا تزال، في ميادين الحراك الشعبي العربي. لكن، هل أخذت هذه التجربة ما تستحقه من اهتمام؟ وهل كان هناك جهد جدي لتطويرها وإعطائها الأولوية في برامج عمل المؤسسات القومية؟ وما صلة التيار بالتقنيات الجديدة التي أصبحت جزءاً أساسياً من الاهتمامات اليومية لهؤلاء الشباب ووسيلة تواصله؟

ثالثاً، أورد أ. معن في ورقته، من ضمن النقاط المضيئة، دور التيار القومي المستقل في احتضان المقاومة العربية. هذا التعبير، «الاحتضان»، هو صحيح في مكان ما وفي مرحلة محدّدة، لكن لا بد من تسجيل أن التيارات القومية كانت في صلب حركة المقاومة العربية...

## ١٢ - خير الدين حسيب

شكراً سيدي الرئيس،

إن ما هو ملحوظ في هذه الحلقة النقاشية هو غياب أية محاولة للنقد الذاتي لدى القوميين، كما لو كنا نحن أبرياء وليس لدينا علاقة بما حصل أو بما يحصل. أنا أريد أن أكون صريحاً، معكم وأرجو أن تغفروا صراحتي.

أولاً، في ما يتعلق بما قيل حول تجديد الفكر القومي، وما عبّر عنه الأخ سايد فرنجية وبعض الإخوة، أرجو أن تخصصوا ساعة واحدة لتصفّح قائمة منشورات المركز التي تحتوي على ما أنتجه الفكر القومي والتيار القومي في مدة ٣٥ سنة، وسيكون بمقدوركم التأكد من أن ما يتم التفكير فيه والحديث عنه اليوم موجود ومبحوث فيه. ليسأل كل منكم نفسه عن مدى اطلاعه على ما تم القيام به وإنجازه، وبعد ذلك يحاسب كل واحد نفسه ليقدر مدى ملائمة الكلام الذي قاله في الندوة، وهل هو صحيح أو غير صحيح.

لقد أصبح الحديث عن تجديد الفكر القومي كالموضة، أو لازمة الحديث. لا أحد ينكر أهمية وضرورة التجديد عموماً. والفكر القومي، شأنه شأن أي فكر، يستجيب للتحديات. إذا رجعنا

إلى تطور هذا الفكر، لرأينا أن قضية التحرر الوطني كانت هي محور التركيز في الفترة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية. وكان التحرر الوطني يحتاج أن يتم اجتماع كل الناس، وبالتالي التحرر من الاستعمار هي القضية الذي شغلت الفكر القومي. وبعد الحرب العالمية الثانية، كانت القضية الاجتماعية، وقد تصدى عبد الناصر لها مجتهداً، وتبين أن اجتهاده كان خاطئاً؛ إذ كان الاجتهاد يقضي بتأجيل موضوع الديمقراطية إلى ما بعد الدخول في عملية التغيير الاجتماعي التي تحتاج إلى عمل سريع، وخصوصاً في ضوء عدم نجاح التجربة الديمقراطية الليبرالية العربية في عملية التغيير. وما تم خلال خمسينيات وستينيات القرن العشرين في مجال التغيير الاجتماعي تجاوز ما طرحته جميع التيارات القومية واليسارية وغيرها، حتى ما كان منها على سبيل المزايدة. ورأى التيار القومي بعد سبعينيات القرن العشرين وبعد التغييرات الاجتماعية أن هذه التغييرات لا يمكن أن تستمر من دون ديمقراطية، ولا يمكن الحفاظ عليها، وهذا ما حصل في زمن السادات وما بعده، من قضاء على أو تصفية ما تحقق على المستوى الاجتماعي. لذلك، تحول الفكر القومي إلى الاهتمام بالقضية الديمقراطية. وأستطيع بكل تواضع القول إن التيار القومي ساهم في قضية الديمقراطية، ليس فقط في التيار القومي نفسه، الذي لم يكن كله متقبلاً للديمقراطية، لكن حتى في التيار الإسلامي والتيارات الأخرى أيضاً. وللتعرف على هذا الأمر، يمكنكم الاطلاع على الكتاب الذي صدر عن أول ندوة عُقدت في قبرص عام ١٩٨٣ بشأن أزمة الديمقراطية في الوطن العربي. وقد اختيرت قبرص (وبالتحديد مدينة ليماسول) مكاناً للندوة بعد تعذر عقدها في أية دولة عربية، وتم على هامشها إنشاء المنظمة العربية لحقوق الإنسان، التي أخذت تمارس أنشطة متعددة في مجال حقوق الإنسان على المستوى العربي، وتصدر تقريرها السنوي الذي يرصد جميع الانتهاكات، بعد أن كان أي شخص عربي يُقتل أو يُسجن في بلده عرضة للإهمال، ولا يصدر صوت يتحدث عنه.

نخلص من هذا العرض السريع إلى أن التيار القومي والفكر القومي استجابا لتحديات المراحل المختلفة.

التيار القومي واجه قضية الدولة القطرية أيضاً، فكان في البداية، حين وجدت أربع أو خمس دول عربية مستقلة، ذا موقف مضاد لها. لكن بازدياد عدد الدول العربية ليصبح ٢٣ دولة، برزت الحاجة إلى الاستجابة لهذا الواقع وتفهم دينامياته. وكان مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، وهو المشروع الذي صممه المركز ونفذه، تعبيراً واضحاً يستند إلى التحليل العلمي ويظهر أهمية وضرورة المصالحة مع الدولة القطرية، لا لأنها دولة ناجحة، فهي فشلت في حقل التنمية ومجال الأمن القومي، كما فشلت في إنجاز أو توفير شروط التقدم العلمي، بل لأنه لم يكن في الإمكان تجاوزها كواقع وصيرورة يمكن من خلالها الانتقال إلى الوحدة.

الأخ موريس تكلّم مدّعياً أن هذه الشعارات القومية أضحت خارج التاريخ. وأنا أود أن أذكر هنا بأن الوحدة العربية ليست مشروعاً خارج التاريخ، بل هي في صلبه، ولنستذكر، ونحن لا ننسى، هذا التيار الجارف على المستوى الكوني نحو أشكال من التعاون والاندماج: دول أوروبا التي تحاربت التقت أولاً حول مشروع الحديد والفحم، لتنتقل إلى الجماعة الاقتصادية الأوروبية ثم الاتحاد الأوروبي. الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمكسيك

ترتبط بعضها ببعض من خلال النفط، أو رابطة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية، وجنوب شرق آسيا تتكثّل أيضاً؛ فالعالم، وفقاً للدراسات المستقبلية، يتجه نحو أشكال ومستويات متنوعة من التكتل، مع الإشارة إلى أن الكتلة التي يقل عدد سكانها عن ٣٠٠ مليون نسمة ليس لديها مستقبل، ولا تستطيع أن تنافس.

الأخ أنطوان تكلم على موضوع الأصالة والمعاصرة. هنا أذكركم بالندوة الكبرى التي عقدناها حول الموضوع في القاهرة، وأدعوكم إلى الاطلاع على الكتاب والتعرف على أسماء المشاركين. وكانت الندوة تلك قد سعت إلى بذل محاولة تركيبية وإبداعية بشأن الأصالة والمعاصرة، وأمل صادقاً أن تكونوا قد اطلعتم عليها قبل القول جزافاً بأن التيار القومي مقصّر! هذا يصدق أيضاً على الملاحظة المتعلقة بجامعة الدول العربية التي قام المركز بعقد اثنتين من أهم ندواته حولها، كانت أولاهما في تونس قبل نحو ثلاثين عاماً (١٩٨٢) بعنوان **جامعة الدول العربية، الواقع والطموح**، وكانت ثانيتهما في بيروت عام ٢٠٠٣، بعنوان **من أجل إصلاح جامعة الدول العربية**. ينسحب هذا أيضاً على قضية العولمة والوحدة العربية وغيرهما من المسائل والإشكاليات.

لقد عقد المركز ٦٥ ندوة كبيرة، وأتصور أنه لم يترك شاردة أو واردة في الشأن العربي إلا وخصص لها ندوة أو حلقة نقاشية أو كتاباً. أنا أتمنى أن يتم الاطلاع على هذه الأشياء لنتأكد من أن النقص ليس ناتجاً من حاجة إلى تجديد الفكر القومي بل من واقع أننا مقصّرون.

بالنسبة إلى ورقة الأخ معن بشور، أحب أن أشير إلى ضرورة أن نواجه القضية التنظيمية؛ ففي ما يتصل بالديمقراطية مثلاً، نحن بحاجة إلى تنظيمات سياسية تلج التنافس في الانتخابات وتدخل المجالس النيابية، وإلى أن يكون لنا تيار له الأغلبية في مجلس النواب ليعمل على إصدار تشريعات ديمقراطية تحقق أهداف المشروع الحضاري. ومن غير الممكن الحديث عن التيار القومي بمفهومه الواسع؛ فنحن لسنا بصدد النقاء العرقي لنحدد من هم الذين دماؤهم قومية!! نحن بحاجة إلى أن نواجه القضية التنظيمية؛ فثمة في الوقت الحاضر عدد من الأقطار العربية التي لا تسمح بقيام تنظيمات ذات صلة قومية بتنظيمات أخرى. كيف نواجه هذا؟ هذه مسألة تستدعي تنسيق مننديات ثقافية، وهي في حاجة إلى البحث بشكل عميق وجدّي وعملي من الناحية التنظيمية.

العروبة هوية، بينما القومية العربية حركة متجهة نحو الوحدة، وليس هناك تناقض بين الاثنين. الإعلام أصبح مهماً جداً لجهة التأثير في الأفكار والسلوك. ونحن نحتاج إلى قناة فضائية مستقلة محترمة، ومؤسسة صحافية، وجريدة يومية، ومجلة أسبوعية، ومجلة شهرية، وهذا كله يحتاج إلى تمويل، ونحن القوميين جميعاً، تقريباً، ليس لدينا التمويل اللازم لهذا. من أين نحصل على تمويل؟ في عام ١٩٦٨ - ١٩٦٩ وأوائل عام ١٩٧٠، أي الفترة التي قضيتها في السجن، كنت أشعر بأنني أقوى ممّا أنا عليه الآن! كان الإحساس بوجود زعيم أو قائد هو عبد الناصر يشعرنني بالقوة، وبأن هناك من أستاذ إليه. الآن نحن القوميين بلا زعامة أو قيادة.



أنا أعتقد، من دون غرور ولا مبالغة، أن التيار القومي له من الفكر، سواء ما يتعلق بتقييم الماضي وتقييم الحاضر أو الرؤية المستقبلية، أكثر مما هو موجود لدى أي تيار آخر في الوطن العربي. القضية تتعلق بنا نحن القوميين. أنا شخصياً، وخلال ٣٨ سنة أمضيتها في بيروت، كنت من الذين لا يعترفون بالفشل بسهولة، لكنني أعتز الآن بأنني فشلت في جمع القوميين في لبنان! بعض الإخوان الموجودين في هذه الحلقة يعرفون هذا، وهم شهود عليه! لقد حاولنا عدة مرات أن نجتمع ونبحث، وقد شارك الرئيس سليم الحص شخصياً في ذلك. وكنا كلما اجتمعنا وحددنا موعداً لاجتماع لاحق، لا أحد يستجيب إلى ذلك! هناك عوامل ذاتية وغير موضوعية! لا أعتقد أن الموضوع هو اختلاف في وجهات النظر، ولكن يبدو أن الكل يريد الاحتفاظ بالمكان لنفسه، وهذا ليس فقط في لبنان بل في الأقطار العربية الأخرى أيضاً.

الظاهرة الأخرى هي الفردية والانقسامات، ليس فقط عند التيار القومي بل عند التيارات كلها: الشيوعيين والإسلاميين وغيرهم. لا يوجد في العراق وسورية، وحتى في مصر، حزب لم ينقسم على نفسه (إلا في ما ندر)، لماذا؟ لأننا لسنا قادرين على العمل كفريق. هناك استثناءات بالطبع، فمركز دراسات الوحدة العربية ما زال منذ ٣٥ سنة قائماً ونشطاً وفاعلاً من دون انقسام! هذه ظاهرة غالبية، وليُخل كل منا إلى نفسه ويمارس نقداً ذاتياً صادقاً وواعياً.

في ما يتعلق بالعروبة والإسلام والتيار القومي والإسلامي، فإن الندوة التي عقدها المركز في القاهرة بشأن الحوار القومي - الديني هي أهم ندوة سياسية، ونتائجها أكبر من نتائج أية ندوة أخرى من ندوات المركز. وما تم التوصل إليه والاتفاق بشأنه في تلك الندوة هو ما نشهده اليوم ونسمعه من راشد الغنوشي ومن الإخوان المسلمين، مثلاً، في مجالات مختلفة؛ ففي هذه الندوة، طُرح موضوع أهل الذمة، على سبيل المثال، فقال الإسلاميون قبل القوميين إنه قضية تاريخية، وإن الأساس اليوم هو المواطنة، وإن المواطنين متساوون في الحقوق والواجبات. واعترض أحد الإسلاميين قائلاً إن المساواة لا تشمل القضاء، لأن الشريعة الإسلامية يعرفها المسلم فقط، فردّ عليه إسلامي آخر (طارق البشري) قائلاً بأننا نحكم بقوانين أصلها فرنسي، لذلك مثلما تعلمنا القوانين الفرنسية، يتعلم المواطنون من غير المسلمين الشريعة الإسلامية، وهكذا.

وفي ما يتعلق بموضوع نظام الحكم، قال الإسلاميون قبل القوميين إنه لا يوجد في القرآن والسنة إلا القليل جداً حول نظام الحكم، وبالتالي الشعب هو الذي يقرر نظام الحكم. أما موضوع تطبيق الشريعة، فهم طرحوه قبلنا (راشد الغنوشي وأحمد كمال أبو المجد وفهمي هويدي)، إنما الأمر لا يتصل بنصوص الشريعة بل بمقاصد أو بمبادئ الشريعة، والمبادئ هذه قابلة للتفسيرات المختلفة، والشعب يختار أي تفسير يلائمه اليوم، ليأتي ويختار تفسيراً آخر في الانتخابات التالية، والأصل هو سلطان الشعب. لا أتصور أحداً يحتكم إلى العقل والمنطق لا يقبل بهذا. راشد الغنوشي في تونس، التي يتم فيها الإعداد للدستور، قال ليس ثمة إشارة إلى موضوع الشريعة في الدستور الجديد.

وهناك تطورات كثيرة حصلت، عقدنا بعدها المؤتمر القومي - الإسلامي، واتفقنا على برنامج مشترك يقوم على الديمقراطية والتعددية السياسية، كما اتفقنا على موضوع فلسطين

وموضوع الوحدة العربية وغيرها من القضايا الرئيسية. وإن ما تم من تفاعل قد ساعد على تحقيقه السعي والإخلاص اللذان ميّزا عمل المنسق د. أحمد صدقي الدجاني رحمه الله. غير أنه في الفترة الأخيرة، ومع وجود الأساس موضع الاتفاق، جاء بعض تصرفات الإسلاميين والإخوان المسلمين، في مصر خاصة، مشوباً بنقص شديد، ومخالفاً للاتفاق. قد يكون ذلك تراجعاً تكتيكياً، أو ربما تحولاً أصلياً، غير أنني أشارك الأخ معن التفاؤل. أنا متفاؤل كثيراً، وأعتقد أننا قطعنا مرحلة كبيرة. من غير الممكن، وليس مجدياً أن نرى النصف الفارغ من الكأس فقط، فهناك نصفها الممتلئ أيضاً. الصورة لا بد أن تتكامل، والمستقبل أمامنا غني وواعد، وعذراً إن كنتُ أطلتُ عليكم.

### ١٣ - معن بشور (يردّ)

الحقيقة أريد أن أقول بعض الملاحظات البسيطة. أولاً، لو سمحتم، هذه الورقة، كما سبق أن ذكرت، ورقة تسجيلية وليست تحليلية، بمعنى أنني أردت أن أسجّل فيها ما كنت أسمع من كثيرين منكم في مناسبات عديدة، ومن تجربتي الشخصية ما أعتبره أسباب انحسار، وما أعتقده دوائر عمل من أجل النهوض؛ فكل عنوان من هذه العناوين يستحق حلقة نقاش واحدة أو أكثر للدخول في تفاصيله، لكن تم تسجيل العناوين. أقول هذا كي لا تُظلم الورقة.

ثانياً، هذا نقاش دائم ومستمر، وفي تقديرنا أن استنهاض التيار القومي العربي هو الذي يحمل المشروع النهضوي العربي؛ فباستنهاضه تُستنهض الأمة، بما معناه أن مشروع نهوض الأمة موجود (المشروع النهضوي العربي)، لكن من يحمل هذا المشروع؟ في تعريفنا، يحمله التيار القومي العربي الذي أردت بشأنه قولي إن جزءاً من الإشكالية هو الموضوع التنظيمي؛ فإن نحن اعتبرنا الأمر يعني جميع من يؤمنون بالمشروع النهضوي العربي، فإن الإشكالية التنظيمية إذن لا تشمل فقط أبناء «السلالة القومية»! وربما جزء من مشاكلنا هو أننا لا نستطيع توحيدها.

أنا أذكّر د. حسيب عام ١٩٨٧، في أثناء انعقاد المؤتمر التأسيسي للحزب العربي الناصري، الذي كان لي شرف أن أشارك فيه. وكان وكيل المؤسسين آنذاك المرحوم المناضل الكبير أ. فريد عبد الكريم، فأحسست بصراع الأجيال. كنتُ توفيقياً، وهو ما أغضب الرعيل المخضرم والجيل الجديد في آن معاً، فكنت أقول للشباب يجب أن تكونوا أكثر تفهماً للجيل الكبير، وأقول للجيل القديم يجب أن تكونوا أكثر تفهماً لجيل الشباب، فاعتبر كل منهما أنني مساند للآخر. وتبيّن بعد ذلك أن الشباب كانوا مظلومين، كما أن الشباب باندفاعاتهم ارتكبوا أخطاء. أتمنى عند التكلم على لغة الشباب، وأتوجه هنا إلى د. مورييس، الانتباه إلى أننا لسنا أمام شباب واحد؛ أليس في الإخوان المسلمين والتيار الإسلامي شباب؟ هؤلاء كلهم شباب، ولست أعتقد أنهم يتكلمون اللغة ذاتها التي يتكلم بها ابن د. مورييس أو ابن د. نسيب! شعاراتهم وهمومهم تختلف عن شعارات هؤلاء وهمومهم. وعند التحدث عن الشباب، يجب الانتباه إلى شباب المقاومة الذين يقدمون حياتهم في لبنان وفلسطين والعراق. أليس الهم القومي وهمّ فلسطين وهمّ التحرر ركناً أساسياً في حياتهم التي يضحون بها في سبيل هذه الهموم؟ هناك

الآن آلاف الشباب الجالسين الساهرين والمنهمكين في هذا الهمّ، أليسوا شباباً أيضاً؟!

**ثالثاً،** في رأيي أن الحقيقة القومية ليست بالضرورة هي أن يقول الناس نحن قوميون عرب. والمشاهد التي رأيناها خلال هذا العام خارجة عن نطاق هذه الورقة، لأنها (أي الورقة) جزء من أوراق قُدمت إلى المؤتمر القومي، منها **تقرير حال الأمة** الذي خُصص في هذا العام لظواهر برزت على امتداد الوطن العربي. لقد رُدت عبارتنا «الشعب يريد إسقاط...» و«إذا الشعب يوماً أراد الحياة» في كل مكان، أليس هذا دليلاً على أن هناك حقيقة قومية تجمع الأمة؟ لماذا كانت حدود الثورات الوطن العربي، ولم تكن في مناطق الجنوب أو الشمال والشرق؟ لأن هذه الثورات تعبير عن حقيقة الأمة العربية الواحدة؛ لأن الليبي كان ينظر إلى المصري، والمصري ينظر إلى التونسي، والسوري ينظر إلى شعوب هذه الدول الثلاث، وإلى غير ذلك... وبغض النظر عن المآل الذي سارت إليه الأمور، فإن الحقيقة أن الشعب العربي تحرك دفعة واحدة (في لبنان، حيث لا وجود لنظام يتم إسقاطه، قامت التظاهرات لكي يكون أبناء لبنان جزءاً من هذه التظاهرات العربية العامة). أريد القول إن التيار القومي العربي يجب أن يعمل لكي يكون تياراً. الشيخ راشد الغنوشي في بيروت، وتحديدًا في المؤتمر القومي - الإسلامي، وقف وقال يجب أن نعترف بأن الطلائع في الأمة قومية والجماهير إسلامية، هو الذي قال هذا، وليس خير الدين حسيب. لقد قال هذا الكلام فهو حجة من قبل بعض القيادات الإسلامية.

نحن وحدويون عرب، وهناك بلدان عربيان يحكمهما حزب وحدوي اسمه حزب البعث لا يستطيع التوحيد بينهما! نحن قوميون عرب، وفي لبنان لا نستطيع أن نجتمع في انتخابات! ونقول إن القومية العربية عاطلة! أليس الذين قاتلوا في العراق، وكذلك في لبنان وفلسطين، قوميين وإسلاميين؟ أنا أتمنى أن لا يتم التعامل مع التيار القومي وكأنه حزب، لأنه ليس كذلك، وليس تنظيمًا، بل هو مشروع استنهاضي لأمة. هكذا نفهم، وهكذا يجب أن نتصرف.

أشكر لكم جميعاً ما أوليتموه من اهتمام للأفكار التي عرضت، وأشكر لمركز دراسات الوحدة العربية هذه الاستضافة.

## ١٤ - يوسف الصواني

أشكر للأستاذ معن بشّور هذه المساهمة، وأكرر شكرنا وتقديرنا لحضوركم جميعاً ومشاركاتكم في إثراء الحوار. أخيراً، أفيدكم بأن المركز سيقوم، على عادته، بنشر وقائع الحلقة النقاشية في مجلته **المستقبل العربي**، تعميماً وتوسيعاً للفائدة. ولذلك، لن ينشر المركز مساهمة أو مداخلة أيّ من الحاضرين ما لم تسلم مكتوبة عند انتهاء هذه الحلقة، واعذرونا سلفاً على تمسّكنا بهذه القاعدة □